السَّنةُ الثامنةَ عشرةَ بعد المئتين

فيها شدَّد المأمونُ على الناس في القول بخلق القرآن، وذلك في [شهر] ربيعٍ الأوَّل [فمات المأمونُ في رجبٍ في هذه السَّنة، ومات بِشرٌ المَرِيسيُّ بعده، وقد اختلفت الرواياتُ في ذلك، فروي أن المأمونَ لمَّا عاد من بلاد الرُّوم][1] نزل الرقَّة وأمر بتفريغ الرافقةِ لينزلَ بها حشمُه وخواصُّه، فاستغاث أهلُها وضجُّوا، فخاف من الشَّناعة، فكفَّ عنهم ونزل الرقَّة، وهي الخرابُ اليوم، والرافقة هي القائمةُ اليوم، فلما نزل الرقةَ بعث ابنَه العباسَ إلى الطُّوَانة وأمر ببنائها، فشرع فيها، وبناها مِيلاً في ميلٍ، وجعل دورَ سورها ثلاثةَ فراسخ، وجعل لها أربعةَ أبواب، وبنى على كلِّ بابٍ حصناً منيعاً، وكتب إلى المعتصم أن يضربَ البعوثَ على أهل الشام ومصرَ والجزيرة، ويسيرَ بنفسه فينزلَ الطُّوانةَ مع العباس، ففرض على جند مصرَ أربعةَ آلافِ رجل، وعلى الأُرْدُنِّ والسواحل ثلاثةَ آلاف، وعلى حِمْصَ ودمشقَ وقِنَّسرينَ والعواصم [أربعةَ آلاف][2] وعلى الجزيرة وبعداد كذلك، وجعل للفارس في كلِّ شهرٍ مئةَ درهم، وللراجل أربعين درهماً، ونزل الجميعُ الطُّوانة مع المعتصم والعباسِ بن المأمون.

وفي شهر ربيعٍ الأوَّل كتب المأمونُ إلى بغدادَ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ بامتحان القضاةِ والمحدِّثين وإشخاصِ جماعةٍ منهم إلى الرَّقة، وكان في الكتاب:

أمَّا بعد: فإن حقَّ اللهِ على أئمَّة المسلمين وخلفائهم الاجتهادُ في إقامة دينِ الله تعالى الذي استحفظهم، ومواريثِ النبوَّة التي ورَّثهم، وأثرِ العلمِ الذي استودعهم، والعمل بالحقِّ في رعيَّتهم، والتشمير لطاعة اللهِ فيهم، واللهَ يسأل أميرُ المؤمنين أن يوفِّقَه لعزيمة الرشد، والنظرِ فيما ولَّاه اللهُ من رعيَّته ومِنَّته، وقد عرف أميرُ المؤمنين أنَّ الجمهورَ الأعظم والسوادَ الأكبر من حَشْو الرعيَّة وسَفِلة العامَّة، ممَّن لا نظرَ له ولا رويَّة، ولا استدلالَ له بدلالة اللهِ تعالى وهدايته، والاستضاءةِ بنور العلمِ وبرهانه، في

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٣١.

جميع الأقطارِ والآفاق، أهلُ جهالة بالله وعمًى عنه، وضلالةٍ عن حقيقة دينِه وتوحيده والإيمانِ به، وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدْرِه، ولا عرفوه كُنْهَ معرفته ، ولا فرَّقوا بينه وبين خلقِه؛ لضعفِ آرائهم ونقصِ عقولهم، فإنهم ساوَوا بين اللهِ تعالى وبين ما أَنزل من القرآن، أَطبقوا أجمعين، واتَّفقوا غيرَ متعاجمين، على أنه أوَّلٌ قديمٌ لم يخلقه اللهُ ولم يُحدثه ولم يخترعْه، وقد قال اللهُ تعالى في كتابه الذي جعله شفاءً لما في الصدور، وهدًى ورحمةً للمؤمنين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وكلُّ ما جعله فقد خلقه، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩] فأخبر أنه قَصَّ لأمورٍ أَحدثه بعدها وتلا به متقدِّمها، وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وكلُّ مُحْكَم مفصَّل [فله مُحكم مفصّل][(١)] واللهُ تعالى مُحكمٌ كتابَه ومفصِّلُه، وخالقُه ومبتدعُه، ثم هم الذين جادلوا بالباطل ودعَوا إلى قولهم، ونسبوا نفوسَهم إلى السُّنَّة، ثم زعموا أنهم أهلُ السُّنة والجماعة، وأنَّ مَن سواهم على الباطل، فاستطالوا بذلك على الناس، وغرُّوا به الجهَّال، فمال قومٌ من أهل السَّمْتِ الكاذبِ والتخشُّع الباطل والتقشُّفِ لغير الدِّين إلى موافقتهم، ومواطأتِهم على سيِّئ آرائهم، تزييناً[(٢)] بذلك عندهم وتصنُّعاً للرِّئاسة. وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: لم تُعرف هذه المقالةُ قبل المأمون، وقد كان اجتماعُ الصحابةِ والتابعين والسَّلفِ الماضين على أنَّ كلامَ اللهِ تعالى قديمٌ أَزَليٌّ غيرُ مخلوق ولا مُحدَث، حتى نبغ ابنُ أبي دُؤاد، فجسَر المأمونُ على هذه المقالة، وتبعته المعتزلةُ من أهل البصرة وبغدادَ وبِشرٌ المَرِيسي، فقالوا: إنَّه مخلوق، وحملوا الخواصَّ والعوامَّ على ذلك، فعرض إسحاقُ بن إبراهيمَ كتابَ المأمونِ على العلماء ببغداد، فمنهم مَن أجاب ومنهم مَن توقَّف، فكتب إلى المأمون يعرِّفه، فكتب إليه: اِبعث إليَّ نَفَراً منهم، وذكر سبعةً[(٣)] من العلماء: محمدَ بن سعدٍ كاتبَ الواقدي، وأبا

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦٣٢.

(٢) في تاريخ الطبري: تزييناً.

(٣) في (ف): تسعة. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري، والمنتظم ١١/ ١٨، والكامل ٦/ ٤٢٣ .

مسلمٍ مستلميَ يزيدَ بنِ هارون[١]، ويحيى بنَ مَعين، وزهيرَ بن حَرْبٍ أبا[٢] خَيثمة، وإسماعيلَ بن داود، وأحمدَ بن الدَّورقي[٣]، وإسماعيل بن [أبي] مسعود.

فلمَّا قدموا الرقَّة، أحضرهم المأمونُ وامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوا جميعاً: إنَّ القرآنَ مخلوق، فأعادهم إلى بغداد، وكتب إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ بأن يُحضرَ الفقهاءَ ومشايخَ الحديث ويُخبرَهم بما أجاب به هؤلاء، ففعل فأجاب البعضُ وتوقَّف البعض.

قال المصنِّف رحمه الله: وكان محمدُ بن سعدٍ وابنُ معينٍ وأبو خيثمةَ وأبو مسلمٍ يقولون: إنَّا أجبنا خوفاً من السيف.

ثم كتب المأمون إلى إسحاقَ كتاباً آخرَ من جنس الأوَّل، وأمره بإحضار مَن امتنع، وأن يقرأ عليه، فأحضر جماعة، منهم الإمامُ أحمد بن حنبل، وأبو حسَّان الزِّيادي، وبِشرُ بن الوليد الكِندي، وعليُّ بن أبي مقاتل، وسجَّادة، والقواريري، والفضلُ بن غانم، والذَّيَّال بن الهيثم، وقتيبةُ بن سعيد[٤]، وسَعدويه الواسطي، وعليُّ بن الجعد، وإسحاقُ بن أبي إسرائيل، وابنُ عُليَّة الأكبرُ، ومحمدُ بن نوح، وغيرُهم، وقرئ عليهم كتابُ المأمون، فورَّوا، ولم يجيبوا ولم يُنكروا، فكان ممَّا قال إسحاقُ لبشر بنِ الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلامُ الله، فقال: أمخلوقٌ هو؟ قال: اللهُ خالق كلِّ شيء، قال: فالقرآن؟ فقال: كلامُ اللهِ شيء، قال: هو شيء، فمخلوقٌ هو؟ قال: ليس بخالق، قال: ما أسألك عن هذا، فمخلوقٌ هو؟ قال: فما أُحسن غيرَ ما قلتُ لك. ثم قال لعليِّ بن أبي مقاتل: ما تقول أنت؟ فقال: القرآنُ كلام الله، وإنْ أَمَرَنا أميرُ المؤمنين بشيءٍ سمعنا وأَطعنا. وسأل أبا حسَّان الزِّيادي، فأجاب بنحو ذلك.

ثم قال للإمام أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله: ما تقول؟ فقال: القرآن كلامُ الله، قال: أمخلوقٌ هو؟ قال: القرآنُ كلام الله، ما أَزيدُ على هذا.

---

(١) في (ف): وأبا مسلم المستملي ويزيد بن يزيد بن هارون.

(٢) في (خ) و(ف): وأبا. وهو خطأ.

(٣) في خ) و (ف): الزورقي. والمثبت من المصادر، وما بين حاصرتين منها.

(٤) في (خ) و (ف): سعد، والمثبت من تاريخ الإسلام ٥/ ٢٤٩.

ثم امتحن الباقين وكتب بجواباتهم إلى المأمون، فجاء جوابه يقول: [قد عرف][(١)] أميرُ المؤمنين ما ذهب إليه مُتَصَنِّعة أهل القِبْلة، وملتمسو الرِّئاسة، فمن لم يقلْ منهم: إنَّ القرآنَ مخلوق، فمُرْهُ بالإمساك عن الحديث والفتوى، وأما بشرُ بن الوليد، فإن أجاب إلى خلق القرآنِ، وإلَّا فاضرب عُنقَه وابعث برأسه إليّ، وأما عليُّ بن أبي مقاتل، فقل له: ألست المكلِّمَ[(٢)] لأمير المؤمنين بما كلَّمته به من قولك: إنك تحلِّل وتحرِّم؟ وأما الذَّيَّال، فأَعلِمْه أن أميرَ المؤمنين قد عرف مقالتَه، واستدلَّ على آفته وجهله، وأما الفضلُ بن غانم، فأَعلِمه أنه لم يخفَ على أمير المؤمنينَ ما خان فيه من الأموال بمصر. ثم ذكر لكلٍّ واحدٍ منهم عيباً، وقال في كتابه: ومَن لم يرجعْ منهم عن شِركه، فاحمِلْهم جميعاً موثَقين إلى عسكر أميرِ المؤمنين ليَعرِضَهم على السيف.

فعرض عليهم إسحاقُ ما قال المأمون، فأجاب الكلُّ إلا أربعة: الإمامُ أحمد بن حنبل، وسَجَّادة، والقواريري، ومحمدُ بن نوح. فأمر بهم إسحاقُ فشُدُّوا في الحديد، فلمَّا كان من الغد، دعاهم فأعاد عليهم المِحنة، فأجاب سَجَّادةُ وخلَّى سبيلَه، ثم أعاد القول، فأجاب القواريريُّ فأَطلقه، وأصرَّ الإمام أحمدُ ومحمدُ بن نوح، فشُدُّوا في الحديد وبُعث بهما إلى طَرَسُوس، فلمَّا وصلا إلى الرقَّة بلغتهم وفاةُ المأمون، فرُدُّوا إلى بغداد، فأمرهم إسحاقُ بلزوم منازلِهم، ورخَّص لهم بعد ذلك في الخروج.

وتوفِّي المأمونُ في هذه السَّنة، ووَلِي أخوه أبو إسحاقَ بنُ الرشيد.

الباب الثامنُ في ولايته

واسمُه محمد، ولقبه المعتصمُ بالله، وأمُّه ماردةُ بنت شبيب، من مولَّدات الكوفة، لم تُدرك خلافته، وكانت حَظيَّة عند الرشيد، أولدها أبا إسحاقَ وأبا إسماعيل وأمَّ حبيب.

[واختلفوا في مولد المعتصم، فحكى الصوليُّ أنه][(٣)] وُلد بالرافقة في شعبانَ سنةَ

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) في (خ) و (ف): الكلام. والمثبت من المنتظم ١١/ ٢٣. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٤١: ألست القائل ...

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). ولم نقف على قول الصولي هذا.

ثمانٍ وسبعين ومئة. [وقال الطَّبري:][1] ولد ببغدادَ بالخُلْد قصرِ المنصور سنةَ ثمانين ومئة. وقيل: ولد بالقاطول، فكانت نفسُه تشتاق إلى تلك النواحي؛ ولهذا بنى سُرَّ مَن رأى. قال: وكان هارونُ يومَ لا يصل إلى ماردةَ يبعث إليها بألف دينار.

[ذكر صفته:]

وكان المعتصمُ أبيضَ مربوعاً، طويلَ اللحية، حَسَنَ الوجه، وقيل: كان أصهب[2] [قال الصُّولي:] وكان المأمونُ قد أمر ابنَه العباسَ وإسحاقَ بن إبراهيم إن حدث به حَدَثُ الموتِ أن الخليفةَ بعده أبو إسحاق بنُ الرشيد.

[ذكر بيعته:][3]

فلما احتضر ببلاد الرُّوم مال الجندُ إلى العباس [بن المأمون]، وأرادوه على البَيعة، فأبى، فشَغَبوا، فخرج إليهم وقال: ما هذا الحبُّ البارد! قد بايعتُ عمِّي وسلَّمت إليه الأمر، فسكن الجندُ وبايع الناس.

ولم يَعهد الرشيدُ إلى ابنه المعتصمِ مع شدَّة محبَّته له ولأمِّه، فساق اللهُ إليه الخلافة، وكان المأمونُ قد بنى الطُّوانة، فهدمها المعتصمُ وحمل ما كان فيها من السلاح وغيرِه، وأحرق ما لم يَقدرْ على حمله، وأمر الناسَ الذين أسكنهم المأمونُ بها فانصرفوا إلى بلادهم، وسار مُجدّاً فدخل بغدادَ يومَ السبت غُرَّةَ رمضان، وكان إسحاقُ بن إبراهيمَ قد أَخذ له البيعةَ ببغداد، ومدَّ الفضلُ بن مروانَ يَدَه فبايع وقال: [من الكامل]

بايعتُ منبسطاً ولو لم تنبسطْ ... كفِّي لبيعته قطعتُ بَنانَها[4]

مَن ذا إليها لا يَمدُّ يمينَه ... قطع الإلهُ يمينه فأَبانها

[قال الخطيب[5]: كان من أولاد هارونَ جماعةٌ اسمُ كلِّ واحدٍ منهم محمد: الأمين، وأبو إسحاق، وأبو العبَّاس، وأبو أحمد، وأبو عيسى، وأبو أيُّوب، وأبو

(١) في تاريخه ٩/ ١١٩. وفي (خ) و (ف): وقيل ...

(٢) الصُّهْبة: الشُّقْرَة في شعر الرأس. الصحاح (صهب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) البيت الأول لمروان بن أبي حفصة ضمن ثلاثة أبيات في مدح المهدي، وهي في ديوانه ص ١١١.

(٥) في تاريخه ٤/ ٥٥٣. وما بين حاصرتين من (ب).

يعقوب. وقد ذكرناهم في أولاد هارون].

وكان المعتصمُ أمِّيّاً لا يكتب ولا يقرأ [إلا كتابةً ضعيفة وقراءةً غيرَ جيِّدة. قال الخطيب:][1] وسببُه أنَّ المعتصم كان معه غلامٌ في الكُتَّاب يتعلَّم معه [فمات الغلام][2] فقال الرشيد: يا محمد مات غلامُك. قال: نعم [يا سيِّدي][3] واستراح من الكتَّاب، فقال له الرشيد: وإنَّ الكُتَّاب لَيبلُغ منكَ هذا المبلغ؟! دَعُوه إلى حيث انتهى ولا تعلِّموه شيئاً. فكان يكتب ضعيفاً ويقرأ قراءةً ضعيفة.

وكان المعتصمُ في فتنة الأمينِ يتردَّد إلى عليِّ بن الجنيد بمكانٍ يقال له: إسْكاف، فيُقيم عنده فيخدمه بنفسه ومالِه، فغاظ[4] المعتصمُ يوماً عليّاً، فقال له على وجه المِزاح: واللهِ لا أفلحتَ أبداً، فأخذها المعتصمُ في نفسه، فلما قدم بغدادَ أَحضر عليّاً وقال له: زعمتَ أنني لا أُفلح، فأيُّ فلاحٍ بعد هذا! وكان عليٌّ عدوَّ الفضلِ بن مروان، فقال له: الذي أفلح الفضلُ بن مروان، فضحك المعتصم، وحدَّث نفسه بالإيقاع بالفضل.

وكان إبراهيمُ بن المهديِّ لما دخل المعتصمُ بغدادَ ترجَّل وقبَّل يدَ المعتصم، فقال المعتصم لعليِّ بن الجنيد: أَتذكر حين وقفتُ لإبراهيمَ بالمربعة، فلما مرَّ بي نزلتُ فقبَّلت يده وأَدنيتُ منه ابني هارونَ وقلت: عبدُك ابني هارون، فقبَّل يد إبراهيم، فأمر لي بعشرة آلافِ درهم؟ قال علي: نعم، قال: فإنَّ ابن المهديِّ ترجَّل اليومَ لي في ذلك الموضعِ بعينه وقبَّل يدي وقال لي: عبدُك هبةُ الله ولدي، وأَدناه فقبَّل يدي، فقال له عليّ: فكم أعطيتَه؟ قال: عشرة آلافِ درهم، لم تَطِب نفسي بغيرها، فقال له علي: بئس ما فعلت، قال: وكيف؟! قال: لأنَّ ابن المهديِّ أمر لولدك بعشرة آلافِ درهم وليس في يده غيرُ بغدادَ وحدها، وأنت في يدك المشرقُ والمغربُ تقابله بمثلها! فقال: صدقت، اجعلوها عشرةَ آلافِ دينار.

وقال الصُّولي: ولا يُعرف خليفةٌ قبَّل يدَ خليفةٍ إلَّا إبراهيم بن المهديِّ

(١) في تاريخه ٤/٥٤٨، وما بين حاصرتين من (ف).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و (ف): فغاض. والخبر غير موجود في (ب).

[والمعتصم][١].

وفيها دخل جماعةٌ من أهل أصبهانَ وهَمَذانَ وتلك النواحي في دين بابَكَ الخُرَّمي، فاستباحوا الحُرُمات، فبعث إليهم المعتصمُ إسحاقَ بن إبراهيمَ واليَ بغدادَ في جندٍ كثيف، فأَوقع بهم في ذي الحِجَّة، فقتل منهم ستِّين ألفاً، وهرب الباقون إلى البلاد.

وحجَّ بالناس صالحُ بن العباسِ بن محمدِ بن علي.

[فصل][٢]وفيها توفِّي

إبراهيمُ بن إسماعيل

[ابنِ إبراهيم][٣] بن مِقْسَم، أبو إسحاق، البصريُّ الأَسَدي المعتزلي، ويُعرف بابن عُلَيَّة.

كان أحدَ المتكلِّمين القائلين بخلق القرآن، وله مع الإمام الشافعيِّ رحمه اللهُ مناظراتٌ بمصر، ومع غيره ببغداد [فذكر الخطيبُ[٤] أنَّه اجتمع بأحمدَ بن حنبلٍ والشافعيُّ حاضرٌ ببغداد] فقال له الشافعي رحمة الله عليه: أَخبِرني عن خبر الواحدِ العَدْل، بإجماعٍ دفعتَه أو بغير إجماع؟ فلم يَدْرِ ما يقول.

و[كان ابنُ عُلَيَّةَ من أصحاب الأصمّ][٥] قدم مصرَ فنزل بمكانٍ يقال له: باب الضَّوال، فقال الإمامُ الشافعيّ رحمةُ الله عليه: قد نزل بباب الضوالِّ ليُضِلَّ الناس.

و[ذكر الخطيبُ[٦] عن يعقوبَ بن سفيانَ قال:] خرج [ابن عليةَ] ليلةً من مسجد مصر وقد صلَّى العَتَمةَ في زُقاق القناديلِ ومعه رجل، فقال له الرجل: إنِّي قرأت البارحةَ سورةَ الأنعامِ فرأيت ينقض بعضُها بعضاً، فقال ابن عُلَية: وما لم ترَ أكثر.

وكان الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه يقول: ابنُ عُلَيَّة ضالٌّ مُضِلّ. وكانت وفاتُه بمصرَ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ بغداد ٦/ ٥١٢، والمنتظم ١١/ ٣٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٦٤.

(٤) في تاريخه ٦/ ٥١٢. وما بين حاصرتين ليس في (خ).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في تاريخه ٦/ ٥١٤. وما بين حاصرتين من (ب).

ليلةَ عَرَفةَ وله سبعٌ وستُّون سنة.

[وقال الحافظ ابن عساكر: حدث عنه بحر بن نصر الخولاني وياسين بن أبي زرارة وغيرهما.[١]

وفيها توفِّي]

بِشْرُ بن غياثِ

ابن أبي كَريمةَ، أبو عبدِ الرحمن المَرِيسي.

[ذكره الخطيبُ[٢] وقال:] مولى زيدِ بن الخطَّاب، كان أبوه يهوديّاً، وكان يسكن ببغدادَ في الدَّرب المعروفِ ببشر المريسي، بين نهر الدَّجاج[٣] ونهرِ البزَّازين.

[قال:] سمع الفقهَ من أبي يوسُف، إلا أنَّه اشتغل بالكلام، وجرَّد القولَ بخَلق القرآن.

[وقد روى من الحديث شيئاً يسيراً عن حمَّاد بنِ سَلَمةَ وسفيانِ بن عُيينة][٤]. وكان أبو زُرعةَ الرازيُّ يقول: بِشر بن غياثٍ زنديق. وقال يزيدُ بن هارون: هو كافرٌ حلالُ الدم.

[وروى الخطيبُ[٥] أن] الرشيدَ [كان] يقول[٦]: بلغني أنَّ بِشْراً المَرِيسيَّ يزعم أنَّ القرآنَ مخلوق، عليَّ إن أظفرني اللهُ به لأقتلنَّه قِتلةً ما قتلتُها أحداً قطّ، فهرب منه.

وروى الخطيب[٧] عن حُميدٍ أنَّه قال: يا أميرَ المؤمنين، هذا سيِّد الفقهاء، قد رفع

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وينظر تاريخ بغداد ٦/ ٥١٤.

(٢) في تاريخه ٧/ ٥٣١. وتنظر ترجمته أيضاً في السير ١٠/ ١٩٩، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة، وما بين حاصرتين من (ب)، والمَرِيْسي: بفتح الميم وكسر الراء وسكون المثناة التحتية. هكذا ضُبطت في معظم المصادر، في حين ضبطها ياقوت الحموي في معجم البلدان: بالكسر والتشديد، وياء ساكنة.

(٣) في النسخ: الزجاج. والمثبت من تاريخ بغداد. وانظر معجم البلدان.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في تاريخه ٧/ ٥٤١.

(٦) في (خ) و (ف): وكان الرشيد يقول.

(٧) في تاريخه ٧/ ٥٣٧.

عذابَ القبر ومساءلةَ مُنْكَرٍ ونكيرٍ والميزانَ والصِّراط، ثم نظر إلى بِشرٍ وقال: لو رفعتَ الموتَ كنت سيِّدَ العلماءِ حقاً.

[وحكى الخطيبُ[١] عن] محمد بن عليِّ بن ظَبيان القاضي قال[٢]: قال لي بِشرٌ المريسي: القولُ في القرآن قولُ مَن خالفني أنَّه غيرُ مخلوق [قال:] فقلت له: فارجعْ عنه، فقال: كيف أرجع وقد قلته منذ أربعين سنةً ووضعتُ فيه الكتبَ واحتججت فيه بالحُجَج!

و[حكى الخطيبُ[٣] أيضاً عن الحسين بن عليٍّ الكرابيسيِّ قال:] جاءت أمُّ بِشرٍ [المريسي] إلى الشافعيِّ رحمةُ اللهِ عليه فقالت: يا أبا عبدِ الله، أرى ابني يهابك ويحبُّك، وإذا ذُكرتَ عنده أجلَّك، فلو نهيتَه عن هذا الرأيِ الذي هو فيه، فقد عاداه الناسُ عليه، ويتكلَّم في شيءٍ يواليه الناسُ عليه ويحبُّونه، فقال الشافعيُّ رحمة اللهِ عليه: نعم، ودخل عليه بِشْر، فقال له: أَخبِرني عمَّا تدعو إليه، فيه كتابٌ ناطق، أو فرض مفترَض، أو سنَّة قائمة، أو وجوب عن السلف البحث فيه والسؤال عنه؟ فقال بِشْر: ليس فيه شيءٌ من ذلك، إلا أنَّه لا يسعنا خلافُه، فقال له الشافعي: فقد أَقررتَ على نفسك بالخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبارِ، يواليك الناسُ عليه وتترك هذا! فقال: لنا نَهْمَةٌ فيه. ثم قام [بشر] وخرج، فقال الشافعيّ: لا يُفلح هذا أبداً.

وقال الخطيب[٤]: حُكي عنه أقوالٌ شنيعة ومذاهبُ مستنكَرة، كفَّره أهلُ العلم بها.

[وحكى أيضاً[٥] عن] يحيى بنِ عليِّ بن عاصمٍ قال[٦]: استأذن بِشْرٌ المَرِيسي على أبي، فأذن له، فقلت له: أَتُدخل عليك مثلَ هذا وهو يقول: القرآنُ مخلوق، وإنَّ اللهَ معه في الأرض، وإن الجنةَ والنارَ لم يُخلقا، وإن مُنكَراً ونَكيراً باطل، وكذا الصِّراطُ

(١) في تاريخه ٨/ ٥٤٢.
(٢) في (خ) و (ف): وقال محمد بن علي.
(٣) في تاريخه ٧/ ٥٣٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في تاريخه ٧/ ٥٣٢.
(٥) في تاريخه ٧/ ٥٣٤.
(٦) في (خ) و (ف): وقال يحيى.

والشفاعةُ والميزانُ! فقال: أَدخِله، فلمَّا دخل قال له: ويحك مَن تعبد؟! وأين ربُّك؟! وما تقول فيما نُقل عنك؟ فقال: ما جئتك لهذا، إنَّما جئتك في كتابٍ أقرؤه عليك، قال: لا، ولا كرامة، حتى أعلمَ ما أنت عليه، قال: أَوَ تُعفيني؟ فقال: لا أُعفيك، قال: أمَّا إذا أبيتَ، فإنَّ ربِّي نورٌ في نور، فصاح أبي: اقتلوه، فإنَّه واللهِ زنديق.

وقال الإمامُ الشافعيُّ[١] رحمة اللهِ عليه: قلت لبِشر: ما تقول في رجلٍ قُتل وله أولياءُ صغارٌ وكبارٌ، فهل للكبار أن يقتلوا القاتلَ دون الصِّغار؟ قال: لا، قلت: فقد قَتَلَ الحسنُ بن عليٍّ ﷺ ابنَ مُلْجِمٍ ولعليٍّ رضوانُ الله عليه أولادٌ صغار، فقال: أخطأَ الحسن، فقلت: أما عندك جوابٌ أحسنُ من هذا؟! قال الشافعي: فهجرتُه من يومئذ[٢]. [قلت: إنَّما قتله الحسنُ سياسة، وللإمام هذه الولاية، وهذا جوابُ أبي حنيفةَ في المسألة.

قال الخطيب:][٣] قال الشافعيّ: قلت لبِشر: أَدخلك اللهُ جهنمَ في أسفلِ سافلينَ مع فرعونَ وهامانَ وقارون، فقال لي بِشر: أسكنك اللهُ أعلى عِلِّيين مع إبراهيمَ ومحمدٍ وعيسى وموسى. يعني أنَّه يستهزئ؛ لأنَّه ما كان يعتقد جنَّةً ولا ناراً.

قال: وكان إذا دعا قَلَبَ يديه إلى الأرض، وجعل باطنَهما إلى الأرض، ويقول: إنَّ اللهَ تعالى في الأرض تحتها كما هو فوق السماء.

[وحكى الخطيبُ[٤] عن] إسحاقَ بن إبراهيم [أنه] مرَّ[٥] ببغدادَ في طريقٍ والناسُ مجتمعون على بِشر، فمرَّ يهوديٌّ فقال: أيها الناس، احذروه لا يُفسِدْ عليكم دِينَكم وكتابَكم كما أفسد علينا أبوه نبيَّنا[٦] وكتابَنا. يعني التوارة، وكان أبوه غياثٌ يهوديًّا.

---

(١) كما في تاريخ بغداد ٧/ ٥٣٦.

(٢) بعدها في (ف): وعلمت أنه فاسد الحال. وليس هو في تاريخ بغداد. وتنظر المسألة في الأم ٧/ ١٣٦، ووسائل الأسلاف إلى مسائل الخلاف للمصنِّف ص٦٤٨-٦٥١.

(٣) في تاريخه ٧/ ٥٣٦-٥٣٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخه ٧/ ٥٣٧.

(٥) في (خ) و (ف): ومر إسحاق بن إبراهيم.

(٦) في (ب): ديننا.

[وحكى الخطيبُ أيضاً عن] صالحِ العِجْلي[١] قال[٢]: رأيتُ بِشْراً شيخاً قصيراً دميماً، قبيحَ المنظر، وَسِخَ الثياب، أشبَه شيءٍ باليهود، وكان أبوه يهودياً بالكوفة، صبَّاغاً في سوق المراضع.

و[قال يزيدُ بن خالد:][٣] دخل بِشرٌ على المأمون فقال: إنَّ هاهنا رجلاً قد هجانا فيما أَحدثناه من القول بخلق القرآن، فعاقِبْه، فقال: إن كان شاعراً لم أُقدِم عليه، فقال: إنه يدَّعي الشِّعرَ وليس بشاعر، فقال المأمون: حتى أَختبرَه، فكتب إليه: [من المنسرح]

قد قال مأمونُنا وسيِّدنا ... قولاً له في الكتاب تصديقُ
إنَّ عَلِيّاً أعني أبا حَسَنٍ ... أفضلُ مَن أَرقلتْ[٤] به النُّوقُ
بعد نبيِّ الهدى وإنَّ لنا ... أعمالَنا والقرآنُ مخلوق

فلمَّا وقف الرجلُ على الأبيات كتب: [من البسيط]

يا أيها الناسُ لا قولٌ ولا عملٌ ... لمن يقول كلامُ اللهِ مخلوقُ
ما قال ذاك أبو بكرٍ ولا عُمرٌ ... ولا الرسولُ ولم يذكرْه صِدِّيق
ولم يقل ذاك إلَّا كلُّ مبتدعٍ ... عند العبادِ وعند اللهِ زنديق

فلمَّا وقف عليه المأمونُ قال لبِشْر: يا ماصّ، ألستَ زعمتَ[٥] أنه ليس بشاعر! ثم أَغلظ له في القول.

ذِكرُ وفاتِه:

[واختلفوا فيها، فقال الخطيب:][٦] مات في ذي الحِجَّة سنةَ ثمانِ عشرةَ ومئتين[هو والمأمونُ في سَنَةٍ واحدة]. وقيل: في سنة تسعَ عشرة. [والأوَّل أصحّ.

(١) هو في تاريخ بغداد ٧/ ٥٣٧ عن صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، عن أبيه.
(٢) في (خ) و (ف): وقال صالح العجلي.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب). والخبر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨١-٢٨٢.
(٤) في (ب): قلّت. وأرقل: أسرع. القاموس المحيط (رقل).
(٥) العبارة في (ب) هكذا: يا ماصّ الاست، زعمت . . . .
(٦) في تاريخه ٧/ ٥٤٥. وما بين حاصرتين من (ب).

قال الخطيب:][1] وكان الصبيانُ يتعادَون في جنازته بين يديها ويقولون: مَن يكتب إلى مالكٍ خازنِ النار كتاباً؟

[قال[2]: ولما مات بِشرٌ] لم يشهد جنازتَه [أحدٌ] من أهل العلمِ والسُّنَّة إلَّا عُبيدٌ الشُّونيزي [فلمَّا رجع من جنازته] لامَهُ[3] الناس، فقال: أَنظروني حتى أُخبرَكم، ما شهدت جنازةً رجوتُ فيها من الأجر ما رجوتُ في هذه، قمت في الصفِّ فقلت: اللهم إنَّ هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة فاحجبْه عن النظر إليك، وإنَّه كان لا يؤمن بعذاب القبرِ فعذِّبه في قبره عذاباً لم تعذِّبه أحداً من العالمين، اللهم إنَّه كان ينكر الميزانَ فخفِّف ميزانه، اللهم إنه كان يُنكر الشفاعةَ فلا تشفِّع فيه أحداً من خَلْقك. فضحك الناسُ وأَمسكوا عنه.

[وحكى الخطيبُ[4] عن] يحيى بنِ يوسفَ الزَّمِّي قال[5]: رأيتُ إبليسَ في المنام مشوَّهَ الخَلق، وهو مُلبَسٌ بالشَّعر، ورأسُه إلى أسفلَ، ورجلاه إلى فوق، وفي بدنه عيونٌ مثل النار، فقال: ما من مدينةٍ إلَّا ولي فيها خليفة، قلت: ومَن خليفتُك بالعراق؟ قال: بِشرٌ المَرِيسي، دعا الناسَ إلى ما عجزتُ عنه، قال: القرآنُ مخلوق.

[وحكى[6] عن] سفيانَ بن عُيينةَ قال لمَّا بلغه قولُ بِشرٍ[7]: إنَّ اللهَ لا يُرى يومَ القيامة، قال: قاتله الله، ألم يسمع قولَه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] فجعل احتجابَه عنهم عقوبةً لهم، فإذا احتجب عن الأعداءِ والأولياء، فأيُّ فضلٍ للأولياء على الأعداء؟!

[انتهت ترجمة بشر المريسي][8].

---

(١) في تاريخه ٧/ ٥٤١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٧/ ٥٤٣-٥٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و (ف): فلامه.

(٤) في تاريخه ٧/ ٥٤١.

(٥) في (خ) و (ف): وقال يحيى ...

(٦) يعني: الخطيب في تاريخه ٧/ ٥٤٣.

(٧) في (خ) و (ف): ولما بلغ سفيان بن عيينة...

(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

ذِكر عبدِ الله المأمونِ بن هارونَ الرَّشيد[١]

ولد سنةَ سبعين ومئة. و[قال علماءُ السِّيَر:] كان المأمون إماماً في كلِّ فنٍّ من العلوم العربيةِ والنَّحو والشِّعر والحديثِ والطِّبِّ وعلومِ الأوائل والنجومِ والأَرصاد، وعمل الزِّيجَ المأموني، واستخرج كتبَ الحكماءِ واليونانِ من جزيرة قُبرس، فنقلها له أبو مَعشرٍ المنجِّمُ إلى العربية [وله معه قِصص.

وقد وصفه الحسنُ بن وَهْبٍ فقال:] كان محمودَ السيرة، عفيفَ الطبيعة، كريم الشِّيمة، مبارَكَ الرأي، ميمون النَّقيبة، مؤدِّياً حقَّ الله، مقرّاً له بالشكر على نِعمه، لا يأمر إلَّا بالعدل، ولا ينطِق إلَّا بالفضل، عاملاً بكتاب الله، مراعياً لدينه وأَمانته، كافّاً للسانه ويدِه عن رعيَّته، وإنَّما شان الكلَّ بما أَحدث من المقالة القبيحة بخلق القرآن، ولم يكن له فيه رأي، وإنَّما حمله عليه أحمدُ بن أبي دُؤاد، فقال له: هذا من [باب] الدِّين ومعالمِ الإسلام [وإنَّه لا يصحُّ الدينُ إلَّا به، فقَبِله.

وكان هارونُ يقول: إني لَأعرف في عبد اللهِ حزمَ المنصور، ونُسكَ المهدي، وعزَّة نفسِ الهادي، ولو أشاء أن أنسُبَه إلى الرابع لنسبتُه، واللهِ إني لأَحمدُ سيرتَه، وأرضى طريقتَه، وأَستحسن سياستَه، وأرى قوَّته وذهنه، وآمَن ضعفَه ووهنه، وقد قدَّمت محمداً عليه، وإنِّي لأعلم أنه منقادٌ إلى هواه، منصرفٌ مع طربه، مبذِّر لما حوته يده، مشارك الإماءِ والنساءِ في رأيه، ولولا أمُّ جعفرٍ وميلُ بني هاشمٍ لقدَّمت عبدَ الله عليه.

قِصَّة المأمونِ مع اليهوديّ:

روى الحسينُ بن فَهم عن يحيى بنِ أكثمَ قال: كان المأمونُ قبل الخلافةِ يَجلس للفطر، فدخل عليه رجلٌ حَسَن الوجه طيِّب الرائحةِ نقيُّ الثوب، فتكلَّم فأحسن الكلام، فلمَّا تقوَّض المجلسُ دعاه، قال له: يهوديٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أَسلِمْ حتى أفعلَ معك كذا وكذا، فقال: ديني ودينُ آبائي لا أَتركه.

فلما كان بعد سنةٍ دخل على المأمون وقد أَسلم، فتكلَّم في الفقه فأَحسن، فلما

(١) تنظر ترجمته في السير ١٠/ ٢٧٢ وما بعدها، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

تقوَّض المجلسُ دعاه المأمون فقال: ألستَ صاحبَنا بالأمس؟ قال: بلى، قال: ما الذي دعاك للإسلام وقد عرضتُه عليك بالأمس فأَبيت؟! فقال: أُخبرك، إني أُحسن الخطَّ، كتبتُ ثلاثَ نسخٍ من التوراة، فزدتُ فيها ونقصت، ثم أَدخلتها الكنيسةَ فبعتها، فاشتُريتْ بأَوفى ثمن، ثم كتبت ثلاث نُسخٍ من الإنجيل، فزدتُ فيها ونقصتُ منها، وأدخلتها البيعةَ فبعتها بأَوفى ثمن، وعمدتُ إلى القرآن فكتبت منه ثلاثَ نسخ، فزدت فيها، ونقصتُ منها، وأدخلتها إلى الورَّاقين فعرضتها عليهم، فتصفَّحوها، فرأوا الزيادةَ والنقصانَ، فرَموا بها، فعلمت أنَّ هذا الكتابَ محفوظٌ فأسلمت.

وقال يحيى بنُ أكثم: فحججت، فلقيني سفيانُ بن عُيينة، فحدَّثته بهذا الحديث، فقال: مِصداق ذلك من كتاب الله، قلت: وأين؟ فقال: في قول اللهِ تعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤] فجعل حِفظَه إليهم فضاع، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فحفظه اللهُ تعالى فلم يضيَّع.

ذِكر نُبذةٍ من كلامه وتواضعِه وعَفوه:

حكى الصُّولي عن] المأمون أنَّه كان يقول[(١)]: لو عرف الناسُ حُسنَ العفو لتقرَّبوا إليَّ بالجرائم، وودت أنَّ أهلَ الجرائم عرفوا رأيي فيه؛ ليذهبَ الخوفُ عن قلوبهم، وأخاف ألَّا أُوجرَ على العفو. يعني أنَّه صار له اختياراً [وطبعاً][(٢)].

وقال يحيى بن أكثم: بِتُّ ليلةً عند المأمون، فعطشت، فقمتُ لأشربَ ماء، فرآني فقال: عُدْ إلى موضعك، فعُدت، فقام وأتاني بكُوزٍ من ماءٍ وقال: اشرب، وهو قائمٌ على رأسي، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، يشقُّ عليَّ قيامُك وتأتيني بالكوز! فقال: حدَّثني أبي، عن أبيه المَهديّ، عن أبيه المنصور، عن أبيه محمدِ بن علي، عن أبيه عليّ[(٣)]، عن أبيه عبدِ الله بن عباس، عن النبيِّ ﷺ[(٤)] أنَّه قال: « سيِّدُ القومِ خادمُهم » [وفي روايةٍ

(١) في (خ) و (ف): وكان المأمون يقول. وما بين حاصرتين كله من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

(٣) في تاريخ بغداد ١١/ ٤٣٦، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٦١: عن عكرمة.

(٤) في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق: عن ابن عباس عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ. ورواه ابن عساكر أيضاً عن المأمون، عن أبيه، عن جده، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً.

أنَّ الذي عطش المأمون.

قال يحيى:] وكان لا يَدَعُني أَسقيه ويقول: استخدامُ الرجل ضيفه لؤم، ويقوم هو فيشرب، فأقول له: أَلَا أُوقظ الخدم؟ فيقول: لا، هم نيام، وقد تعبوا في الخدمة، وإنِّي لَأكون في المتوضَّأ فأَسمعهم يشتموني فأَعفو عنهم.

قال [يحيى:][1] وَبِتُّ عنده ليلة، فأخذه سعال، فجعل يسدُّ فاهُ بكمِّه لئلا أنتبه.

وقال: كنت معه في بستانٍ ونحن نتساير، وأنا في الشمس وهو في الظِّلّ، فلمَّا رجعنا، تحوَّل إلى الشمس وقال: سِرْ في الظِّل، فقلت: أميرُ المؤمنين أَوْلى بذلك منِّي؛ لأنك ظلُّ اللهِ في الأرض، فقال: الواجبُ على الملك العدلُ في بِطانته أوَّلاً، ثم في الذين يلونهم، ثم في الذين يلونهم، حتى بلغ إلى الطَّبقة السُّفلى.

وقال [يحيى]: كان المأمونُ يَحلُم حتى يَغيظَنا، جلس يوماً على جانب دجلةَ يتسوَّك عند دخولِه إلى بغداد، وعنده جماعةٌ من العلماء والقوّاد والأَشراف، وإذا بملَّاح في سفينة عتيقةٍ يدخل الماءُ من جوانبها، وعليه ثوبٌ خَلَق، وهو يصيح بأعلى صوتِه: أتظنُّون أنَّ هذا [المأمون] يَنبُل في عيني وقد قتل أخاه الأمين! قال: فسمعه المأمون، فتبسَّم والتفتَ إلينا وقال: ما الحيلةُ عندكم حتى أَنبُلَ في عين هذا السَّيِّد الجليل؟

و[قال إبراهيمُ بن سعيدٍ الجوهري:] وقف رجلٌ بين يدي المأمونِ وقد جنى جناية، فقال له: واللهِ لأَقتلنَّك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، تأنَّ عليّ؛ فإنَّ التأنِّيَ نصفُ العفو. فقال: وكيف وقد حلفتُ، فقال: لَأَن تلقى اللهَ حانثاً خيرٌ لك من أن تلقاه قاتلاً، فعفا عنه.

وقال لإسحاقَ بن العباس: لا تحسبني أغفلتُ إجلابَك مع ابن المهديِّ وتأييدَك لرأيه وإيقادَك لناره، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لَإجرامُ قريشٍ إلى رسول اللهِ ﷺ أَعظمُ من إجرامي إليك، ولَرَحِمي أمسُّ من أرحامهم، وقد قال لهم يومَ الفتح: لا تثريبَ عليكم اليوم[2]، وأنت وارثُ ابنِ عمِّ رسولِ الله ﷺ، فأنت أحقُّ بهذه المِنَّة، فقال: هيهات، تلك أجرامٌ جاهلية عفا الإسلامُ عنها، فقال إسحاق: واللهِ، المسلمُ بإقالة

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مطولاً.

العَثْرةِ أَوْلى من الكافر، وقد أمر اللهُ بالعفو عن المسلم والكافر، فقال: صدقتَ [وَرِيَتْ بك زِنادي][(١)] وعفا عنه.

و[قال إبراهيمُ بن سعيدٍ الجوهري:] سخط [المأمونُ] على نعيم بن حازم، فقال له الحسنُ بن سهل: يا أميرَ المؤمنين، قد تقدَّمَت لنعيمٍ طاعة، وتأخَّرت له توبة، وليس للذَّنب بينهما موضع، ولو وُجد فما ذنبُه بأعظمَ من عفوك، فعفا عنه.

وأذنب رجلٌ من بني هاشمٍ إلى المأمون، فعاتبه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَن حمل مِثلَ دالَّتي، ولبس ثوبَ حُرمتي، وَمَتَّ بمثل قرابتي، غُفر له فوق زلَّتي، فقال: صدقتَ يا ابنَ عمّ، وعفا عنه.

و[قال الصُّولي:][(٢)] وغضب [المأمونُ] على رجل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ قديمَ الحُرمة وحديثَ التوبةِ يمحوان ما بينهما من الإساءة، فرضي عنه.

و[قال أيضاً:] أساء رجلٌ إليه مراراً، فلمَّا حضر بين يديه قال له المأمون: إنما هو عُذرٌ أو يمين، وقد وهبتهما لك، ولا تزال تُسيء وأُحسن، وتُذنب وأَعفو، حتى يكونَ العفوُ هو الذي يُصلحك.

[قال:] وجاءه الحسنُ بن سهلٍ برجلٍ قد أذنب، فقال [له الحسن]: هَبْه لي، فقال المأمون: وكيف لا أَهبه لمن به قَدرتُ عليه!

[ذِكر طَرَف من جود المأمون وكرم أخلاقه:

حكى الحسنُ بن عبدوسٍ الصفَّارُ قال:] لمَّا بنى [المأمون][(٣)] على بُوران، كان رجلٌ من أهل الأدبِ يحضر مجلسَ الحسنِ بن سهل، وكان فقيراً، فعمد إلى مِزْودَين، فملأ أحدَهما ملحاً والآخرَ أُشناناً، وبعث بهما إلى الحسن، وكتب معهما رُقعةً يقول فيها: خِفَّة البضاعةِ قصرتْ يدَ[(٤)] الهِمَّة، وكرهتُ أن تُطوَى صحيفةُ أهل البِرِّ وليس لي فيها ذِكْر، فوجَّهت إلى سيِّدي بالمبتدأ به ليُمنه وبركتِه، وبالمختَتَم به لطِيْبه ونظافتِهِ.

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٦٧: ببعد.

وكتب في أسفلها: [من السريع]

بضاعتي تَقْصُر عن هِمَّتي وهِمَّتي تَقْصُر عن مالي
فالملحُ والأُشنان يا سيِّدي أَحسنُ ما يُهديه أَمثالي

فأخذ الحسنُ المِزْوَدَين والرقعةَ ودخل على المأمون وأَوقفه على الرُّقعة، فاستحسن ذلك، وملأ المِزْودين دنانيرَ بعد أن أَفرغهما.

وقال هُدْبةُ بن خالد: حضرتُ مجلسَ المأمون، فلمَّا رُفعت الموائد، جعلتُ أَلتقط ما على وجه الأرض، فرآني المأمونُ فقال: يا شيخ، أَمَا شبعت؟! فقلت: بلى، ولكن حدَّثني حمَّاد بن سَلَمة عن ثابتٍ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: « مَن أكل ما سقط على المائدة[1] أَمِنَ الفقر »[2] فأمر لي بألف دينار، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، وهذا مِصداقُ الحديث [وفي رواية: وهذا من ذاك][3].

وأمر المأمونُ محمدَ بن أبي خالدٍ ومحمدَ بن يَزدادَ أن يناظرا عَمرَو بن مَسعدةَ في مال الأهواز، فناظراه، فظهر عليه ستَّةَ عشرَ ألفَ ألفِ درهم، فقال المأمونُ لابن يَزداد: انظر كلَّ ما تعلَّق به عَمرٌو فيما يدَّعيه فأَمضِه، فتعلَّق بأشياءَ لا أصلَ لها، فسقط من المال عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، وبقي ستَّةُ آلافِ ألفِ درهمٍ لا حجَّةَ له فيها، فأُخذ خطُّه بها وأنها واجبةٌ للمأمون في ذمَّته، فلما خرج محمدٌ أَحضر المأمونُ عَمراً وقال: هذا خطُّك؟ قال: نعم، قال: خذْه فقد وهبتُه لك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد وهبته لأحمدَ بنِ عروةَ عاملِ الأهواز؛ فإنه يطالَب به وهو فقير، فغضب المأمون، وعلم عَمرو أنَّه قد أخطأ، فقام وخرج، فدخل على أحمدَ بن أبي خالدٍ فأخبره، فقال: لا بأسَ عليك، ودخل على المأمون، فقال له: يا أحمد، أَلا تعجبُ من عَمروٍ وهبته ستةَ آلافِ ألف درهمٍ بعد أن تجافيتُ له عن أَضعافها فوهبها بين يديَّ لأحمدَ بنِ عروة! كأنه

(١) في (ب): من أكل مما تحت المائدة . . . .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والدارقطني في الغرائب، والخطيب في المؤتلف، قال ابن حجر في أطراف المختارة: سنده من هدبة على شرط مسلم، والمتن منكر، فلينظر فيمن دون هدبة. تخريج أحاديث الإحياء، وتنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٢٦٢، وكنز العمال ١٥/ ٢٥٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

أراد أن يضاهيَني ويصغِّرَ معروفي عنده! فقال أحمد: يا أميرَ المؤمنين، لو لم يفعلْ هذا لكان ينبغي أن يسقطَ حالُه عندك، قال: وكيف؟! قال: أراد أن ينتشرَ في ملوك الأمم أنَّ بعضَ خدمك اتَّسع قلبُه لهبة هذا المالِ الذي هو من جُملة إحسانك، فيزيدَ ذلك في جلال الدَّولة، فيذلَّ أعداؤك الذي يكاثرونك[1]، قال: صدقتَ، ورضي عنه.

وقال يحيى بنُ خاقان: أَلزمني المأمونُ بخمسة آلافِ ألفِ درهم، فأخبرته أنِّي لا أملك إلا سبعَ مئةِ ألفِ درهم، وحلفت له على ذلك بالأَيمان المغلَّظة، فلم يصدِّقني، وحبسني عند أحمدَ بنِ هشام، وكان بيني وبينه شرٌّ قد اشتهر، وكان على الحرس، فقال أحمدُ للموكَّلين بي: احفظوه لا يَسمَّ نفسَه، وبلغ المأمونَ ففطن لمراده، فقال: يا أحمد، لا يأكلْ يحيى بنُ خاقانَ ولا يشرب إلَّا ما يؤتَى به من منزله، قال يحيى: فأرسلتُ إلى جماعة، فبعث إليَّ الحسنُ بن سهل وفَرَجٌ الرُّخَّجي وحُميد الطوسيٌّ بثلاثة آلافِ ألفِ درهم، كلُّ واحدٍ بألف ألفِ درهم، فأضفتُ ذلك إلى ما عندي، فكَمُلت خمسةَ آلافِ ألفِ درهم، وكتبت إلى المأمون أعرِّفه، وكان عنده أحمدُ بن أبي خالدٍ وعَمرو بن مَسعدةَ وعليُّ بن هشام، فأَحضرني وقال: ألست الحالفَ لي أنَّك لا تقدر إلَّا على سبع مئةِ ألفِ درهم؟! فمن أين لك هذا المال؟! فقصصتُ عليه القصَّة، فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: قد وهبتُ لك المال، فقال له مَن حضر: أتهب له هذا المالَ وليس في خزائنك درهم! قال: نعم، قالوا: خذْ منه قرضاً، وإذا جاءك مالٌ رددتَ عوضه، فقال: أنا أَقدَرُ على المال من يحيى، ولا أرجعُ فيما وهبت. قال يحيى: فقمتُ فرددت على القوم أموالَهم وفرَّج اللهُ عني.

وسعى إليه محمدُ بن يَزداد بعَمرو بنِ بهبوبا[2] أنَّه أخذ الأموال، فقال المأمونُ للفضل بنِ مروان: خُذ عَمراً إليك فقيِّده وضيِّق عليه ليؤدِّي ما اختانه من المال، قال

---

(١) اختصر المؤلف هنا كلام أحمد بن أبي خالد اختصاراً مخلّاً، والقصة في الفرج بعد الشدة ١/ ٣٨٤-٣٨٦، وفيها أنه قال له: لو استأثر به على أحمد بن عروة وأخذ أحمد بأداء هذا المال، لكان قد أخرجه من معروفك صفراً، ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادماك، فكان الأجل أن يتضاعف معروفك عندهما ... إلخ.

(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ١٢٧: بهنوى.

الفضل: فأخذتُ عَمراً إلى داري، وأفردتُ له حُجرة، وأَقمتُ له ما يُصلحه، وأقام ثلاثةَ أيام، ثم أرسل إليَّ يسألني الاجتماعَ به، فأَذنتُ له، فدخل عليَّ وأخرج رقعةً قد أَثبت فيها ما يملكه، من مالٍ وجوهرٍ وعقار وأثاثٍ ودوابَّ وعبيدٍ وإماءٍ ونحوِ ذلك، ما مبلغُه عشرون ألفَ ألفِ درهم، وسألني أن أُوصلَ رقعتَه إلى المأمون، وأنه قد جعله في حِلٍّ وسَعَة من جميع ذلك، فقلت له: مهلاً، إنَّ أميرَ المؤمنين أجلُّ قَدْراً أن يسلُبَك نعمتك كلَّها عن آخرها، فقال: هو كما وصفت، ولكنَّ الساعيَ لا ينام عنِّي ولا عنك، وقد بلغني أنَّه أمرك بالغِلظة عليّ، وقد عاملتَني بضدِّ ذلك، وقد طابت نفسي أن أشتريَ خلاصي وخلاصَك بجميع مالي، فلم أَزل أَرفقُ به حتى وافقته على شطر مالِه، وهو عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، وأخذت خطَّه بها وصرتُ إلى المأمون، وإذا بمحمد بنِ يزدادَ قد سبقني إليه، فلما دخلتُ خرج محمد، فقال لي المأمون: يا فضل، ما هذه الجرأةُ عليّ! أمرتُك بالتضييق على عَمرو بن بهبوبا فقابلتَ أمري بالضدِّ ووسَّعت عليه وأقمت له الأَنزال[1]!

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ عَمراً يطالَب بمالٍ عظيم، ولم آمن أن أحبسَه في بعض الدواوين فيبذلَ مالاً يُرغَب في مثله فيخلُص، فجعلت حبسَه في داري، وأشرفتُ على طعامه وشرابِه لأَحرسَ نفسه؛ فإنَّ كثيراً من الناس اختانوا الأموالَ وأَودعوها، فاحتيل عليهم بإتلاف نفوسهم، فذهبت الأموالُ التي كانت لهم عند الناس، فتلفوا وفاز بها غيرُهم.

قال: فسكن غضبُه، ولم أُخرج الرُّقعة، قال: سلِّم عَمراً إلى محمد بنِ يزداد، فسلَّمته إليه، فعذَّبه بأنواع العذاب، فلم يقرَّ بدرهم، فلمَّا رأى أصحابُه ذلك، جمعوا له ثلاثةَ آلافِ ألفِ درهم وبذلوها لمحمد بنِ يزداد، فصار إلى المأمون متبجِّحاً بها، وأخبره وأنا واقف، فرفع المأمونُ رأسَه وقال لي: يا فضل، ألم تعلمْ أنَّ غيرَك أقومُ بأمرنا منك وأَطوعُ لما نأمر! هذا محمدٌ قد أخذ خطَّ عَمروٍ بثلاثة آلافِ ألفِ درهم، فقلت له - وما اجترأتُ عليه مثلَها قطّ -: أرجو أن أكونَ في حال استبطانك لي أبلغَ من إسراع غيري.

(١) في (خ) و (ف): الأموال. والمثبت من الفرج بعد الشدة.

ثم أوقفته على الرُّقعة التي كتبها عَمرو، وحدَّثته الحديثَ عن آخره، فقال: واللهِ ما أدري أيُّكما أعجب، أعمرٌو حيث شكر بِرَّك فطاب نفساً بالخروج من جميع ما يملكه بهذا السَّبب! أم أنت ومحافظتُك على أهل النِّعم وسَترك عليهم في ذلك الوقت! واللهِ لا كنتما يا نَبَطِيَّان أكرمَ مني، قد وهبتُ له الكلّ، ومزَّق الرُّقعتين اللتين بخطِّ عَمرٍو بعشرة آلاف ألفِ درهم، والتي بثلاثة آلافِ ألفِ درهم، وبعث بعَمرٍو إلى داره مكرَّماً.

وقال عيسى بنُ عبَّاد[1]: دعاني المأمونُ يوماً فدفع إليَّ كتاباً مختوماً وقال: اذهب إلى عَمرو بنِ مَسعدةَ وناظرْه على ما في هذ الكتاب باباً باباً، وخذ خطَّه على كلِّ باب بحجَّة، واختمه بخاتَمي وخاتَمه، ويبقى عندك إلى أن أقولَ لك، ولا تبتدئني فيها بشيءٍ حتى أسألَك.

قال: وكنت شاركت عَمراً في تلك الأموالِ التي رُفعت علينا، فخفت من ذِكرها في السِّعاية، وأن تكونَ مذكورةً في الكتاب، فصرت إلى عَمرٍو وهو جالسٌ يلعب بالشِّطرَنج في بستان، فقلت: لي حديثٌ فأَخْلِني، فقال: دعني أُتمِّم دَسْتي، فغاظني، فبدَّدتُ الرقعةَ وقلت: قد سال بنا السَّيلُ وأنت لا تدري، ثم ناولتُه الكتاب، فضحك وقال: ويحك! قد خدمتَ رجلاً مدَّة وأنت لا تعرف أخلاقَه ومذهبَه! أتريد أن أُطلعَك على ما هو أشدُّ من هذا؟ قلت: نعم، فأخرجَ إليَّ رقعةً فيها مثلُ ما في تلك، وقال: هذه لها عندي منذ سنة، كتب إليَّ بأن أفعلَ مثلَ هذا ولم أُخبرك.

قال: فجعلت أُرعَد من الخوف وعَمرٌو يضحك، وأنا أقول: عند اللهِ أحتسب نفسي ونعمتي، فقال عَمرو: أنت مجنون، إنَّ صاحبنا ليس بشَرِه ولا بخيل، ولكنه أراد أن يعرِّفَنا أنَّه قد علم ما صار إلينا من إنفاق، فقلت: لا بدَّ من الكتابة، فكتب رُقعة، فوجد ما نُسب إليه أربعين ألفَ ألفِ درهم، وما نُسب إليَّ سبعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم، وكتب في أسفلها: لو قصرت بنا هِمَمُنا عن هذا المقدارِ وسعتنا[2] منازلنا، ونرجو أن يُطيل اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنين ليصلَ إلينا أضعافُ ذلك.

---

(١) كذا في (خ) و (ف)، وفي الفرج بعد الشدة ٣/ ٤٣: أبو عباد. وقال محقِّقه: هو ثابت بن يحيى بن يسار، كاتب المأمون ووزيره.

(٢) في (خ): ما وسعتنا، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في الفرج بعد الشدة.

قال: وأخذتُ أنا الرُّقعة، فأقامت معي وأنا أذوب وأنحَل، ولا أَشكُّ في زوال نعمتي وهلاكي، فكتبت وصيَّتي وهجرتُ طعامي وشرابي ولذَّاتي، حتى بَليت، فنظر المأمونُ إليَّ يوماً فقال: يا عيسى، هل تشكو عِلَّة؟ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لي سنة حيٌّ كميِّت بسبب الكتابِ الذي دفعتَه إليَّ لأُناظرَ عليه عَمرو بنَ مَسعدة، فقال: أَمسِك حتى أُعيدَ عليك ما جرى بينكما، فأعاده حرفاً حرفاً وقال: عمرٌو أعرفُ بنا منَّا، وأوسعُ صدراً، وأبعد همَّة، وما أردتُ إلَّا أن أعرِّفكما أني قد علمتُ بما صار إليكما وأنتما تتوقَّيان إظهارَه، وأحببتُ أن أُزيلَ عنكما غَمَّ المساتَرَة وثِقلَ المراقبة، وإني خَجِلٌ منكما من ضعف أمري[١] عندكما، فدعوتُ له وقلت: ما أَصنعُ بهذا الكتاب؟ فقال: ترميه في لعنة الله، وامضِ مصاحَباً في سِتر الله. فدعوتُ له وانصرفت كأنما أُطلقت من عِقال[٢].

و[قال الصُّولي:][٣] كان بعضُ خدمِ المأمون [واسمُه رشيد] بلغه عنه أنَّه يسرق، فقال له يوماً: يا رشيد، إذا سرقتَ شيئاً فبِعْنِيه، قال: نعم [قال:] وكان يصبُّ على يديه من إبريق في طَسْت، فقال: يا أمير المؤمنين، بكم تشتري منِّي هذا الطَّسْتَ والإبريق؟ قال: بكم تريدني أَشتريه، قال: بعشَرة دنانير، فأمر له بها، فقال الرشيد: بقي هذان ما بقي الليلُ والنهار. فضحك المأمونُ [حتى استلقى].

[قال:][٤] وأهدى مَلِكُ الروم إلى المأمون هديَّةً سَنيَّة، فيها مئةُ رطلٍ من المِسك، ومئةُ حُلَّة من سَمُّور[٥]، فقال: أَضعِفوها له ليعلمَ عزَّ الإسلام وذُلَّ الكفر.

وقال العَيشي[٦]: كنت مع المأمونِ بدمشق، فضاق ما بيده، فشكا ذلك إلى أخيه أبي إسحاقَ المعتصم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كأنَّك بالمال وقد وافاك بعد جُمُعة، وقدم بالمال وكان ثلاثين ألفَ ألفِ درهمٍ من خَراج كان يتولَّاه المعتصم، فقال لابن

(١) في الفرج بعد الشدة: أثري.

(٢) من قوله: وأمر المأمون محمدَ بن أبي خالد ومحمد بن يزداد أن يناظرا . . . إلى هنا، لم يرد في (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) دابة يتخذ من جلدها فِراء مثمنة. القاموس المحيط (سمر).

(٦) في (خ) و (ف): العبسي. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٢، وابن الأثير ٦/ ٤٣٣. وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٧٢٥-٧٢٦ (مخطوط).

أَكثم: أُخرج بنا ننظرْ إلى المال، فخرجا وقد هُيِّئَ بأحسن هيئته، وزُيِّنت الجِمالُ بالأَحلاس الموشَّاة، واستشرف الناسُ إلى البِدَر[١] ينظرون إليها، فقال المأمونُ ليحيى: يا أبا محمد، أَننصرف بهذه الأموالِ وينصرف أصحابُنا هؤلاء الذين شاهدوها إلى منازلهم خائبين! إنَّا إذاً لَئِام.

ثم دعا محمدَ بن يَزدادَ فقال: وقِّع لفلانٍ بألف ألف، ولفلانٍ بمثلها، ولفلانٍ بكذا وكذا. فواللهِ ما زال كذلك حتى فرَّق أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم ورِجْلُه في الرِّكاب، ثم قال: ارفع الباقيَ لجندنا.

قال العيشي: فجئت فقمت نُصبَ عينه، فقال: يا محمد، وقِّع لهذا بخمسين ألفَ درهمٍ من الستَّة آلافِ درهم لا يختلسْ ناظري، فأخذتُها.

وقال محمدُ بن أيوبَ بن جعفرِ بن سليمانَ والي البصرة: كان عندنا بالبصرة شاعرٌ يقال له: ابنُ تميم، ظريف، وكنت آنَس به، فقلت له يوماً: أين أنت من المأمون، فإنَّه أَجودُ من الرِّيح العاصفِ والسَّحاب الحافل، فقال: أنا ضعيف، فأعطيتُه نجيباً فارهاً ونفقة، وعَمِلَ أُرجوزة أثنى عليَّ فيها[٢]، وخرج إلى الشام، فوافى المأمونَ في بلاد الرُّوم.

قال الرجل: فبينا أنا ذاتَ غداةٍ على نجيبي وأنا أردِّد أُرجوزتي، وإذا بكهلٍ على بغلٍ فارِه، فسلَّم عليّ، فرددتُ عليه، فقال: مَن الرجل؟ قلت: من مُضَر، قال: ونحن من مُضَر، قال: ثم ماذا؟ قلت: من بني تميم، ثم من بني سَعد، فقال ورائحةُ المسكِ تفوح منه: ومِن أين وإلى أين؟ قلت: من البصرة إلى هذا المَلكِ العظيم الذي ما سمعتُ بأندى رائحةً ولا أوسعَ صدراً وراحةً منه [وقد عملتُ فيه رَجَزاً يَحسُن في مِثله][٣] وتقتفيه الرُّواة، ويحلو في آذان المستمعين، قال: فأنشدنيه، فغضبتُ وقلت: يا رَكيك[٤]، كيف أفعل هذا وأنا قاصدٌ الخليفة! فتغافل عنها وأَلغى جوابَها ثم قال: وما الذي تروم منه؟ قلت: ألف دينار، قال: إنْ رأيتُ شِعرك جيِّداً وكلامَك عذباً

(١) جمع بَدْرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. القاموس المحيط (بدر).

(٢) اختصر المصنف هنا الكلام على عادته، فإن شئت فراجعه في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٣، وابن الأثير ٦/ ٤٣٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف).

(٤) الركيك: الضعيف في عقله ورأيه. انظر القاموس والمعجم الوسيط (ركك).

أعطيتُك ألفَ دينارٍ وأَرحتك من التعب، ومتى تصل إلى الخليفة وبينك وبينه عشرةُ آلافِ رامحٍ ونابل! فقلت: واللهِ عليك أن تعطيَني ألفَ دينار؟! قال: نعم، قلت: ومن أين لك ألفُ دينار؟! قال: هذا بغلي خيرٌ من ألف دينار، قال: فغضبت وقلت: ما يساوي هذا البغلُ هذا النَّجيب؟! قال: فدعْ عنك التعلُّل، ولله عليَّ أن أعطيَك الساعةَ ألفَ دينار، فأنشدته:

مأمون يا ذا المِنَن الشريفهْ ... وصاحبَ المراتبِ المُنيفهْ
وقائدَ الكتيبةِ الكثيفه ... هل لك في أُرجوزةٍ ظريفه
أظرفَ من فِقه أبي حنيفه ... لا والذي أنت له خليفه
ما ظُلِمت في أرضنا ضعيفه ... أميرُنا مُؤنتهُ خفيفه
وما اجتبى [شيئاً][1] سوى الوظيفه[2] ... فالذئبُ والنَّعجةُ في سَقيفه
واللِّصُّ والتاجرُ في قَطيفه

قال: فما فرغتُ من إنشادها إلَّا وقد أحدق بنا زُهاء على عشرة آلافِ فارس، فأخذني أَفْكَل[3]، وإذا به المأمون، فقال: أَيْ أخي لا بأسَ عليك، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أَتعرف لغاتِ العرب؟ قال: إي لَعَمرُ الله، قلت: مَن جعل الكافَ منهم مكانَ القاف؟ قال: حِمْيَر. فقلت: لعنها اللهُ ولعن مَن استعمل هذه اللّفظة[4] بعد اليوم. فضحك المأمونُ وعلم ما أردت. يعني: يا ركيك، ثم أعطاني ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وقال: سلامٌ عليكم، ومضى، فكان آخرَ العهدِ به[5].

[وحكى الصُّولي عن يحيى بنِ أكثمَ حديثَ المرأة، قال يحيى: لما دخل المأمونُ بغدادَ جلس لردِّ المظالم، فقعد إلى الظُّهر] فلمَّا أراد القيام[6]، تقدَّمت إليه امرأةٌ غريبة

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥، وابن الأثير ٦/ ٤٣٥. وفي تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٢: فضلاً.
(٢) في (خ) و (ف): الوضيفه. والمثبت من المصادر.
(٣) في (خ): فأخذ به النكل، وفي (ف): فأخذني النكل. والمثبت من تاريخ الطبري. والأَفكل: الرعدة. القاموس المحيط (فكل).
(٤) في تاريخ الطبري وابن الأثير: اللغة.
(٥) من قوله: وقال العيشي: كنت مع المأمون بدمشق . . . ، إلى هنا. لم يرد في (ب).
(٦) في (خ): جلس يوماً للناس، فلما أراد القيام. وفي (ف): وخرج يوماً في موكبه ثم جلس للخصوم، وكان =

في ثيابٍ رثَّة تتعثَّر بذيلها، ووقفت بين يديه، فقال: ما حاجتُكِ؟ فقالت: امرأةٌ غريبة، وأنشدت: [من البسيط]

يا خيرَ منتصِفٍ يُهدَى به الرَّشَدُ ... ويا إماماً به قد أَشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ المُلكِ أرملةٌ ... عَدَا عليها فما يَقوَى به[1] الأَسَد
فابتزَّ منِّي ضِياعي بعد مَنْعَتها ... لمَّا تفرَّق عنِّي الأهلُ والوَلَد

فأَطرق المأمونُ ساعةً [مفكِّراً][2] ثم رفع رأسَه وقال[3]:

مِن دون ما قلت عِيلَ الصبرُ والجَلَدُ ... فأَحضِروا خصمَها اليومَ الذي أَعِدُ[4]
والمجلسُ السَّبت إنْ يُقضَ الجلوسُ لنا ... أُنْصِفْكِ منه وإلَّا المجلسُ الأَحَد

وقام، فلمَّا كان يومُ الأحدِ حضرت المرأة، فقال لها: وأين الخصم؟ فأشارت إلى العباس بنِ المأمون، وكان قائماً على رأسِ أبيه وهو غلام، فقالت: غصبني ضَيعتي، فسأله الحجَّة، فسكت، والمرأةُ ترفع عليه صوتَها وهو لا ينطِق، فقال لها بعضُ الحاضرين: أترفعين صوتَك على ابن أميرِ المؤمنين! فقال له المأمون: اُسكت؛ فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرسه، ثم ردَّ عليها ضَيعتَها وأعطاها عشرةَ آلافِ درهمٍ وردَّها إلى أهلها.

وقال إسحاقُ بن إبراهيمَ المَوصلي: كان المأمونُ قد سخط على الخَليع[5] لأنَّه هجاه ومدح الأَمين. قال إسحاق: فبينا أنا ذاتَ يومٍ عند المأمون، إذ دخل ابنُ البوَّاب الحاجبُ وبيده رُقعة، فاستأذن في إنشادها، فأذن له، فقال: [من الطويل]

أَجِرني فإنِّي قد ظمئتُ إلى الوعد ... متى تُنجز الوعدَ المؤكَّدَ بالعهدِ
أُعيذك من خُلْف الملوكِ فقد ترى ... تقطُّعَ أنفاسي عليك من الوَجْد

= يجلس للخصوم من الغداة إلى بعيد الظهر، فلما أراد القيام. والمثبت من (ب).

(١) في (ب): بها، وفي (خ) و (ف): يد، والمثبت من المحاسن والمساوئ ص٤٩٧، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٥٧. وفي العقد الفريد ١/ ٢٨: عدي عليها فلم يُترَك لها سَبَدُ.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) بعدها في (ف): هذا الشعر مصنوع عليه. وليست في المصادر.

(٤) دمج المصنف هنا بيتين في بيت، واختلفت المصادر في رواية عجز هذا البيت.

(٥) هو الحسين بن الضحاك الشاعر.

أَيبخل فَرْدُ الحُسْنِ عني بنائلٍ قليلٍ وقد أفردتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عبادِه فملَّكه واللهُ أعلمُ بالعبد
أَلَا إنَّما المأمونُ [للناس][1] عصمةٌ مميِّزة بين الضَّلالة والرُّشد

فقال له: أَحسنت، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أَحسن قائلُها، قال: ومَن هو؟ قال: عُبيدك الحسينُ بن الضحَّاك، فقال: لا حيَّاه الله ولا بيَّاه ولا قرَّبه، أليس هو القائل: [من الطويل]

أَعينيَّ جُودا وابكيا لي محمَّدا ولا تَذْخَرا دمعاً عليه وأَسعِدا
فلا تمَّت الأشياءُ بعد محمدٍ ولا زال شَملُ المُلكِ فيها مبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالمُلك بعده ولا زال في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هذه بتلك، ولا شيء له عندنا، فقال ابنُ البواب: فأين عادةُ عفوِ أمير المؤمنين؟ قال: أما هذه فنعم، إئذنوا له، فدخل[2]، فقال المأمون: هل عرفتَ يوم قُتل أخي هاشميةً هُتكت؟ قال: لا، قال: فما معنى قولِك: [من الطويل]

وممَّا شجا قلبي وكفكفَ عَبرتي محارمُ من آل النبيِّ استُحِلَّتِ
ومهتوكةٌ بالخُلْد عنها سجوفُها كَعابٌ كقَرن الشمسِ حين تبدَّت
فلا بات ليلُ الشامِتِين بغِبطةٍ ولا بُلِّغت آمالُهم ما تمنَّت

فقال: يا أميرَ المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ سُلبتُها بعد أن غمرتْني، وإحسان عمَّني سَيبُه فأَنطقني، وسيِّد فقدتُه فأوجعني، فإن عاقبتَ فبحقِّك، وإن عفوتَ فبفضلك، فدمعت عينا المأمونِ وأمر بإدرار رزقِه.

قال المصنِّف رحمه الله: والذي ذكر الخليعُ هو الصحيح، أيُّ هتكَةٍ أعظمُ من خروج هاشميةٍ حاسرةً مكشوفةَ الرأس ناشرةً شعرَها، ومعها بناتُ الخلفاءِ عليهنَّ المُسوح، يَلْطِمنَ في شوارع مدينةِ أبي جعفرٍ ويَحثين على رؤوسهنَّ الرَّماد، حتى بكى عليهنَّ كلُّ صديقٍ وكلُّ عدو، وإنما الخليعُ خاف من المأمون فاعتذر بما ذكر.

وبلغ المأمونَ أنَّ دِعْبِلاً هجاه فقال: [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر: الأغاني ٧/ ١٦٥، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٦.

(٢) في (خ): نوله فدخل. وفوقها: كذا، والمثبت من تاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٦.

أَيسومني المأمونُ خِطَّةَ عارفٍ[١] أَوَما رأى بالأمس رأسَ محمَّدِ
إنَّ التِّراتِ مسهَّدٌ طُلَّابها فاكفُفْ لُعابَك عن[٢] لُعاب الأسود
إنِّي من القوم الذين سيوفُهمْ قتلتْ أخاك وشرَّفتْك بمَقْعد
شادوا بذِكرك بعد طول خُمودِه واستنقذوك من الحضيض الأَوْهَد

فقال المأمون: قاتله الله، ومتى كنتُ خاملاً وقد نشأتُ في حجر الخلفاء! ولكن هو يهجو أبا عبَّادٍ لا يهجوني، وكان في [أبي][٣] عَبَّاد حِدَّة.

قال يحيى بنُ أكثم: قال المأمون: وددتُ لو أنَّ لي رجلاً مثلَ الأصمعيِّ يعرف أيامَ العرب وأشعارَها حتى ينادمَني كما نادم الأصمعيُّ أبي، فقلت: ها هنا عَتَّاب بنُ ورقاءَ الشَّيباني، فهو مِثلُ الأصمعي، فقال: عليَّ به، فلما حضر قلت له: إنَّ أميرَ المؤمنين ـ أطال اللهُ بقاءه ـ يرغب في مؤانستك ومحادثتِك، فقال: إني شيخٌ كبير عاجزٌ عن ذلك، وقد ذهب مني الأَطْيَبان[٤]، فقال المأمون: لا بدَّ من ذلك، فقال عَتَّاب: [من المجتث]

أبعد سِتِّين أصبو والشَّيبُ للمرء حربُ
شيبٌ وعيبٌ وخمر[٥] هذا لَعَمرُك صعب
فابنَ الإمام فهلاَّ أيام عوديَ رَطْبُ
وإذ شِفاءُ الغَوَاني[٦] منِّي حديثٌ وقُرب
وإذ مَشيبي قليلٌ ومنهلُ العيش عذْب
[فالآن لمَّا رأى بي عواذلي ما أحبُّوا][٧]
آليتُ أَشربُ راحاً ما حجَّ لله رَكب

(١) في (خ) و (ف): عارب. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٠، وفي الديوان ص ١٢٢: عاجز.
(٢) في (خ) و (ف): في.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (خ) و (ف).
(٤) هما: الأكل والنكاح. أساس البلاغة (طيب).
(٥) في (خ): وأمر، وفي تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٠: وإثم، والمثبت من (ف).
(٦) في (خ) و (ف): الأغاني.
(٧) ما بين حاصرتين من (ف).

فقال المأمون: ينبغي أن يُكتبَ هذا الشِّعر بماء الذَّهب، وأَجازه وأعفاه.

ولمَّا دخل المأمونُ دمشقَ غنَّاه عَلُّويه بأبيات، وهي: [من الطويل]

برئتُ من الإِسلام إن كان ذا الذي ... أَتاك به الواشون عنِّي كما قالوا
ولكنَّهم لمَّا رأوكِ غَرِيَّةً ... بهجري تواصَوا بالنَّميمة واحتالوا
فقد صرتِ أُذْناً للوُشاة سميعةً ... ينالون من عِرضي ولو شئتِ ما نالوا

فقال المأمون: لمن هذا الشِّعر؟ فقال علُّويه: للقاضي الخَلَنْجِي[1] - وكان على قضاء دمشق - فقال: عليَّ به، فقال: أَنشدني قولَك: برئتُ من الإِسلام، فخاف وقال: هذه قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيّ، ووالله ما قلتُ شعراً منذ عشرين سنةً إلَّا في زُهدٍ أو عتابِ صديق، فناوله كأساً من نبيذ، فأُرعد وقال: والله ما شربته قطّ، فقال المأمون: لو شربتَه لَضربتُ عُنقَك، ووالله لا أولِّي القضاءَ على المسلمين رجلاً بدأ في هَزله[2] بالبراءة من الإِسلام، وقال لعلُّويه: قل: حُرِمتُ مُنايَ منكِ إنْ كان ذا الذي. فغيَّره بأَرشقِ عبارة.

وقال حُميد بنُ عبدِ الحميد الطُّوسي: قال لي عليُّ بن جَبلة: امتدحتُ المأمونَ بأبيات، فأَحضرها، فدخلتُ بها على المأمون، فتأمَّلها وقال: خيِّره، إن شاءَ عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإنْ شاء جمعنا بين هذه وبين شِعره فيك وفي أبي دُلَف، فإنْ كان ما قال فيك وفيه أَجود، ضربناه ظهراً لبطنٍ وأَطلنا حبسَه، وإن كان ما قال فينا أَجود، أعطيناه عن كلِّ بيتٍ من مديحه ألفَ درهم، وإن شاء أَقلناه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ومَن أنا ومَن أبو دُلَفٍ حتى يمدحَنا بأجودَ من مدحك، فقال: ليس هذا الجواب، واعْرض عليه ما قلت، فأَعرضتُ[3] عليه، فقال: الإِقالةُ أسلمُ لي، فأخبرت المأمون، فقال: هو أعلم.

ثم قلت لعليّ: [إلى] أيِّ شيءٍ ذَهَبَ[4] في مدحك إياي ومدحِ أبي دُلَف؟ فقال: أمَّا

(١) هو عبد الله بن محمد، ابن أخت علويه المغني. انظر الأغاني ١١/ ٣٣٨-٣٤٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٤٣-٤٤٤. والبيتان الأولان في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٦ أيضاً.

(٢) في (خ): هواه.

(٣) كذا في (خ) و (ف). والصواب: فعرضت.

(٤) في (خ) و (ف): ذهبت، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٩، وما بين حاصرتين منه.

مدحي إياك فقَولي: [من مجزوء الكامل]

لـــولا حُـــمـــيـــدٌ لـــم يـــكـــن حَـــسَـــبٌ يُـــعَـــدُّ ولا نَـــسَـــبْ
يـــا واحـــدَ الـــزَّمـــنِ[1] الـــذي عـــزَّت بـــعِـــزَّتـــه الـــعَـــرَبْ

وأمَّا مدحي لأبي دُلَفٍ فقولي: [من المديد]

إنَّـــمـــا الـــدُّنـــيـــا أبـــو دُلَـــفِ بـــيـــن بـــاديـــهـــا[2] ومُـــحـــتَـــضَـــرِهْ
فـــإذا ولَّـــى أبـــو دُلَـــفِ ولَّـــت الـــدُّنـــيـــا عـــلـــى أثَـــرِه

فأعطاه حُميدٌ عشرةَ آلافِ درهم [وخِلْعة][3] وكذا أبو دُلَف، وقال: اكتم علينا.

وقال أبو نزار[4]: ظننتُ أنَّ المأمونَ انتقد عليه[5] قولَه في أبي دُلَف: [من الطويل]

تـحـدَّر مـاءُ الـجُـود مـن صُـلـب آدَمٍ فأثبته الرحمنُ في صُلب قاسم[6]

وقال عُمارةُ بن عَقيل: قال لي عبدُ الله بنُ أبي السِّمط[7]، وفي رواية[8]: مروانُ بن أبي حفصة: أعلمتَ أنَّ المأمونَ لا ينتقد[9] الشِّعر؟! قلت: ومَن يكون أعلمَ به منه! واللهِ إنا لنُنشده أوَّلَ البيتِ فيسبقنا إلى آخره، قال: فإنِّي قد أنشدته بيتاً لم يتحرَّك له، قلت: وما هو؟ قال: [من البسيط]

أضحى إمامُ الهدى المأمونُ مشتغلاً بالدِّين والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

فقلت: ما يُلام، وهل زدتَ على أن جعلته عجوزاً في محرابٍ وبيده سُبحة! فمَن يقوم بأمر الدُّنيا! هلَّا قلتَ كما قال عمُّك جَريرٌ في عبد العزيزِ بن الوليد: [من الطويل]

---

(١) في الديوان ص ٣١، وتاريخ الطبري: العرب.

(٢) في الديوان ص ٦٨، وتاريخ الطبري: بين مغزاه.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف). وفي تاريخ الطبري: وحُملان وخلعة وخادم.

(٤) يعني: الضرير الشاعر.

(٥) في تاريخ الطبري: تعقد عليه.

(٦) الديوان ص ١٠٣.

(٧) في (خ) و (ف): السمت. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٢، وابن الأثير ٦/ ٤٣٨.

(٨) رواها الخطيب في تاريخه ١١/ ٤٣٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٢٣٨. وانظر ديوانه ص ١١٧. وهذه الرواية بعيدة عن الصواب؛ لأن مروان توفي سنة ١٨٢هـ.

(٩) في المصادر: لايبصر.

فلا هو في[١] الدُّنيا مُضِيْعٌ نصيبَه ولا عَرَضُ الدنيا عن الدِّين شاغلُهْ

وكتب العباسُ الهَمْداني إلى المأمون في يوم نَيروزَ وقد أهدى الناسُ فنونَ الطُّرَفِ واللَّطائف: [من مجزوء الكامل]

أهدى لك الناسُ المرا كبَ والوصائفَ والذَّهبْ
وهديَّتي جَزْلُ القصا ئدِ والمدائحِ والخُطَب
فاسلمْ سلمتَ على الزَّما نِ من الحوادث والعَطَب[٢]

فأمر المأمونُ بأن يُحملَ إليه جميعُ ما أُهدي إليه في ذلك اليوم، وقال: نِعْمَ ما أَهدى إلينا.

وخرج المأمونُ في يوم عيدٍ إلى الصلاة وإلى جانبه يحيى بنُ أكثم، فإذا بغلامٍ مستحسَن يَخطِر في ثوبٍ موشًّى، فقال له: يا يحيى ما تقول في هذه البِضاعة؟ فغضب يحيى وقال: يَقبحُ بإمام مثلِك يقول هذا لفقيهٍ مثلي، فقال المأمون: فمن الذي يقول: [من المنسرح]

قاضٍ يرى الحدَّ في الزِّناء ولا يرى على مَن يَلوط من باسِ

فقال يحيى: الفاجرُ أحمدُ بن أبي نُعيم[٣] الذي يقول:

لا أَحسَبُ الجَورَ ينقضي وعلى الـ أُمَّةِ والٍ من آل عبَّاسِ

فأطرق المأمونُ خَجَلاً وقال: يُنْفى ابنُ أبي نُعيم إلى السِّند.

قال المصنِّف رحمه الله: هذان البيتان من جُملة أبيات، أوَّلها:

أَنطقني الدهرُ بعد إخراسِ لنائباتٍ أَطَلنَ وسواسي
يا بؤسَ للدَّهر لا يزال كما يرفع ناساً يحطُّ من ناسِ
لا أَفلحت أمَّةٌ وحُقَّ لها بطول نَكسٍ وعُظْمِ[٤] إتعاس

(١) في ديوان جرير ٢/ ٧٠٣: من.
(٢) العقد الفريد ٦/ ٢٨٩.
(٣) في العقد الفريد ٤/ ٣٥: أحمد بن نعيم، وما هنا يوافق ما في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٨، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٥ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ٦/ ١٥٣.
(٤) في المصادر: وطول.

ترضى بيحيى يكون سائسَها ... وليس يحيى لها بسوَّاس
قاضٍ يرى الحدَّ في الزِّناء ولا ... يرى على مَن يلوطُ من باس
يحكم للأَمرد الغَرير على ... مثل جَرير ومثلِ عبَّاس
فالحمدُ لله كيف قد ذهب الـ ... ـعدلُ وقلَّ الوفاءُ في الناس
أَميرُنا يرتشي وحاكمُنا ... يَلوط والرأسُ شرَّ ما راسِ
لا أَحسبُ الجَورَ ينقضي وعلى الـ ... ـأُمَّةِ والٍ من آل عبَّاس

وقيل: إنَّها لأبي صخرةَ الرِّياشي[1]. وقال المأمونُ في ذلك الغلامِ الأَمرد: [من مجزوء الرمل]

أيُّها الراكبُ ثوبا ... هُ حريرٌ وحديدُ[2]
جئتَ للعيد وفي وجـ ... ـهِكَ للأَعيُنِ عيد
أنت جنديٌّ ولكنْ ... فيك للحُسْن جنودُ[3]

[حديثُ اليزيديِّ مع المأمون:]

وجاء اليزيديّ إلى باب المأمون، فقال الحاجب: إنَّه قد شرب دواء [وأمرني أن أَحجُبَ الناسَ عنه][4] فكتب إليه اليزيدي: [من الوافر]

هديَّتيَ التحيَّةُ للإمام ... إمامِ العدل والمَلكِ الهُمَام
أراك من الدَّواء اللهُ نفعاً ... وعافيةً تكون إلى تَمام
وأَعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يريك سلامةً في كلِّ عام
أَتأذن في الدُّخول بلا كلام ... سوى تقبيلِ كفِّك والسلامِ

[فلمَّا وقف على الرُّقعة خرج الخادم] فقال: أُدخل[5]، فدخلتُ فسلَّمت وخرجت، فبعث إليَّ بأربعة آلافِ دينار[6].

---

(١) قال الخطيب: ليست هذه الأبيات للرياشي، وإنما هي لأحمد بن أبي نعيم.
(٢) في (خ) و (ف): وجد. والمثبت من العقد الفريد ٦/ ٤١٩.
(٣) في (خ) و (ف): الحسن فيك جنود. والمثبت من العقد الفريد.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ) و (ف): يدخل، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.
(٦) في (ب): درهم. وفي الأغاني ٢٠/ ٢٤٤: ألفا درهم، وفي تاريخ بغداد ٤/ ٦٥٢: ألف درهم.

وقال محمدُ بن الجَهم: قال لي المأمون: أَنشِدني ثلاثةَ أبياتٍ في المدح والهجوِ والمراثي، فأنشدتُه في المدح: [من البسيط]

تجود بالنَّفْس إذ ضنَّ الجَوَادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ[١]

وأنشدتُه في الهَجو: [من الكامل]

قَبُحَت مناظرُهمْ فحين خَبَرْتُهمْ حَسُنَت مناظرهمْ لقُبح المخْبَرِ[٢]

وأنشدتُه في المراثي: [من الطويل]

أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه وطِيبُ ترابِ القبر دلَّ على القبرِ[٣]

فأمر لي بثلاثة آلافِ درهم.

وقال محمدُ بن زيادٍ الأعرابي: بعث إليَّ المأمونُ، فجئتُ إليه وهو في بستانٍ يتمشَّى ومعه يحيى بنُ أكثم، ورأيتهما مولِّيين، فوقفتُ حتى أَقبلا، فسلَّمت، فقال: يا محمد، أَخبِرني عن أحسنِ ما قيل في الشَّراب، فقلت: قولُ القائل: [من الطويل]

تُريك القَذى مِن دونها وهْي دونه إذا ذاقَها مَن ذاقها يتمطَّقُ[٤]

فقال: أَشعرُ منه أبو نُوَاسٍ حيث يقول: [من المديد]

وتمشَّت في مفاصلهمْ كتمشِّي البُرءِ في السَّقَمِ

واهتدى ساري الظَّلامِ بها كاهتداء السَّفْر بالعَلَمِ[٥]

ثم دحا إليَّ بعنبرةٍ[٦] فبعتُها بخمسة آلافِ درهم.

[حديثُ المأمونِ مع الحارس:

قال يحيى بنُ أكثم:] أشرف المأمونُ ليلةً على الحرس وقال: مَن يُنشدنا قولَ أبي نُواس، فأنشده غلامٌ منهم [هذه الأبيات][٧]: [من البسيط]

---

(١) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ديوانه ص ١٦٤، وروايته: إذ أنت الضنين بها.

(٢) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ذيل الديوان ص ٣٢١.

(٣) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ذيل الديوان ص ٣٢٠.

(٤) في (خ) و (ف): يتمنطق. والمثبت من ديوان الأعشى ص ٢٦٩، والبيت له. ومعنى يتمطق: يتذوق ويصوِّت بلسانه.

(٥) الديوان ص ٥٣٧.

(٦) في (خ) و (ف): عبادة. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٤٦.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

لا تَبكِ ليلى ولا تَطربْ إلى هندِ واشربْ على الورد من حمراءَ كالوردِ
كأساً إذا انحدرتْ في حَلْق شارِبها أَجْدَته حُمْرتَها في العين والخدِّ
فالخمر ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ في كفِّ جاريةٍ ممشوقةِ القَدِّ
تَسقيك من طَرْفها خمراً ومن يدها خَمراً فما لك من سُكرَينِ من بُدِّ
لي سَكرتانِ[1] وللنَّدمان واحدةٌ شيءٌ خُصصتُ به من بينهمْ وحدي

فصاح المأمون: هذا واللهِ هو السِّحرُ الحلال، لا قولُ عَمرِو بن كُلثوم: [من الوافر]

[أَلَا هُبِّي بصَحنك فاصبَحِينا][2]

وأعطى الغلامَ خمسةَ آلافِ درهم.

[حديث المأمون مع الأعرابي:

حكى أبو العيناء قال: وقف أعرابي بباب المأمون، وصاح: نصيحة. فأمر به، فدخل عليه، فقال: ما نصيحتك؟ فقال: [من الكامل]

إني رأيتكَ في منامي سيدي يا ابنَ الإمام على الجوادِ اللاحقِ
فكسوتني حُلَلاً طرائف حسنها تَزهو على حُسْنِ الكُمَيت السابقِ

فقال المأمون: أعطوه خلعة وفرساً كميتاً فقال:

وأَجَزْتَني بخَريطة مملوءةٍ ذهباً وأخرى باللُّجين الفائق

فقال: أعطوه ألف دينار وألف درهم، فقبض الربطتين فقال:

وأجزتني بخريدة روميَّةٍ حسناء تُشْفَعُ بالغلام الفائق

فقال المأمون: أعطوه ذلك، ثم قال: يا أعرابي، إياك أن ترى مثل هذا المنام فربما لم نجد من يفسِّره لك][3]

وخرج المأمونُ إلى ظاهر دمشق، فصعد جبلَ الثلج، وإذا ببِركة عظيمةٍ من بِرَك بني أُميَّة، وعليها أَربعُ سَرَوات، والماءُ يدخل فيها[4] ويخرج منها، فاستحسنها وقال لعَلُّويه: غنِّ، فقال - وكان عَلُّويه من موالي بني أُميَّة -: [من الطويل]

---

(١) في الديوان ص ١٨٠: نشوتان.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف). وعجزه: ولا تبقي خمور الأندرينا. وهو البيت الأول من معلقته الشهيرة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وأصابها تشويش وطمس فاستدركته من المنتظم ١٠/ ٥٧-٥٨ . .

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٧: يدخل سيحاً.

أولئك قومي بعد عزٍّ وثروةٍ تفانَوا فإلَّا أذرف الدمع[١] أكْمَدِ

فقال له المأمون: يا ابنَ الفاعلة، لم تجدْ وقتاً تذكر فيه مواليك إلَّا هذا الوقت! وسخط عليه [أياماً][٢] ثم رضي عنه[٣]. فأحضره ومعه مُخارق، فقال لمخارق: غَنِّ، فقال - والأبياتُ لجرير -: [من البسيط]

لمَّا تذكَّرتُ بالدَّيرين أرَّقني صوتُ الدَّجاجِ وقَرعٌ بالنَّواقيسِ
فقلتُ للرَّكب إذ جدُّوا الرحيلَ بنا يا بُعدَ يَبْرِينَ من باب الفَراديس[٤]

فقال لعلُّويه: غَنِّ، فقال: [من الكامل]

الحَينُ ساق إلى دمشقَ وما كانتْ دمشقُ لأهلنا وطنا[٥]

فضرب [المأمونُ][٦] الأرضَ بالقَدَح فكسره، وقال: هذا واللهِ آخرُ عهدي بالعراق[٧]، لا عُدْتُ إليه أبداً، فكان كما قال.

وقال محمدُ بن حامد: حضرتُ مجلسَ المأمون، [فغنَّت عَرِيب:

كحاشية البُرد اليمانيْ المسهَّمِ[٨]

فأنكر المأمونُ كونَها لم تذكر أوَّل البيت، وهو للنابغة:

رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرد .....]

فقال المأمون: مَن أشار منكم إلى عَرِيبٍ بشيء؟ فسكتوا، فقال: برئتُ من هارونَ لئن لم أُصدَق عن هذا الأمر، لأُعاقبنّ عليه بالضرب الوجيع، ولئن صَدَقني لأُبلغنَّه أَملَه، فقلت: أنا أشرتُ إليها بقُبلة، فقال: الآن جاء الحقّ، أتحبُّ أن أزوِّجَك إياها؟

---

(١) في (خ) و (ف): النفع، والمثبت من (ب)، وفي تاريخ الطبري والأغاني ٤/ ٣٥٣: العين. والبيت لأبي سعيد مولى فائد، المعروف بابن أبي سنة، كما في الأغاني.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) بعدها في (ب): وحكي عن العتبي أنه قال: كان المأمون يقول الشعر، وهو من أدنى فضائله.

(٤) الديوان ص ٢٤٩-٢٥٠ (دار صادر).

(٥) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٦، والأغاني ١١/ ٣٥٨، وديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٨: بلدا.

(٦) ما بين حاصرتين من (ف).

(٧) كذا في (خ) و(ف)، والصواب: بالشام.

(٨) هو النابغة الجعدي، والبيت في ديوانه ص ١٤٣، وما بين حاصرتين من (ف). وكلام المصنف هنا يخالف ما في الأغاني ٢١/ ٧٠-٧١ حيث ذكر أن المأمون أنكر عليها ابتداءها الغناء من تلقاء نفسها.

قلت: نعم، فخطب وزوَّجني إياها على أربع مئةِ درهم.

ودخل مروانُ بن أبي حفصةَ على المأمونِ فأنشده: [من البسيط]

قل للإمام الذي تُرجَى فواضلُه ... رأسِ الملوكِ وما الأذنابُ كالرَّاسِ
إنِّي أعوذُ بهارونَ وعِترتِه ... وقبرِ عمِّ[1] رسولِ الله عبَّاس
من أن تُشَدَّ رِحالُ العِيسِ راجعةً ... إلى اليمامة من بغدادَ بالياس
لا تحرِمَنِّي عطاءً جئتُ آمُلُه ... مِن بينِ مَن جاء يَبغيه من الناس

فقال المأمون: لا والله، وأَعطاه أربعةَ آلافِ دينار.

وقال إسحاقُ المَوصلي: جفاني المأمونُ مدَّة، فعملتُ بيتَين وقلتُ لعلّويه: غنِّ بهما في مجلسه وهما: [من البسيط]

يا سَرحةَ الماءِ قد سُدَّت مواردُه ... أَمَا إليكِ سبيلٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ[2] حامَ حتى لا حياةَ[3] به ... مُحلَّإٍ عن طريق الماءِ مطرود

فقال المأمون: لمن هذا؟ فقال علُّويه: لعبدٍ من عبيدك جفوتَه واطَّرحته، فقال: ومَن هو؟ قال: إسحاقُ الموصلي، فأَحضرني ورضي عني ووصلني.

وغنى علُّويه بين يديه: [من الطويل]

وإنِّي لَمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ ... يَروق ويصفو إنْ كَدَرتُ عليهِ

فقال المأمون: أَعطوني هذا الصاحبَ وخذوا مني نصفَ الخلافة.

وله بيتٌ ثانٍ:

عَذيري من الإنسان لا إنْ جفوتُه ... صفا لي ولا إنْ كنتُ طَوعَ يديهِ

وهو لا يوافق البيتَ الأوَّل، وهما لأبي العتاهِيَة[4].

قال المصنِّف رحمه الله: قلت أنا بعد الأوَّل:

---

(١) في العقد الفريد ٣/ ٤٣٦: وبابن عم. ونسب الأبيات لأعرابي، وهي ليست في ديوان مروان بن أبي حفصة.

(٢) في (خ) و (ف): بحائم، والمثبت من الأغاني ٥/ ٣٨٣، ولسان العرب (حلأ) وقد تقدم ص٧٢ .

(٣) في الأغاني: صيام، وفي اللسان وبعض نسخ الأغاني: حوام.

(٤) انظر ديوانه ص ٤١٨.

يـوافـقـنـي فـي كـلِّ أمـرٍ أَرومـه ويـغـفـر ذنـبـي إنْ أسـأتُ إلـيـه

ولمَّا خرج المأمونُ يريد الغزو، دخل عليه أحمدُ بن يحيى[١] النَّحْويُّ اليزيديُّ وكان من ندمائه، وقد نزل بقَارَا من أعمال حِمْص، فأنشده: [من الكامل]

يـا قـصـرَ ذي[٢] الـنَّـخَـلات مـن بـارا إنِّـي حَـلَـلـتُ[٣] إلـيـك مـن قـارا

أَبـصـرتُ أشـجـاراً عـلـى نَـهَـرٍ فـذكـرتُ أنـهـاراً وأَشـجـارا

لـلَّـه أيَّـامٌ نـعـمـتُ بـهـا فـي الـقُـفْـص[٤] أحـيـانـاً وأطـوراً

إذ لا أزال أَرومُ غـانـيـةً أَلـهـو بـهـا وأَزور خـمَّـارا

أَعـصـي الـنَّـصـيـحَ وكـلَّ عـاذلـةٍ وأُطـيـع أَوتـاراً ومِـزْمـارا

فغضب المأمونُ وقال: أنا في وجه العدوِّ وأنت تذكِّرهم نُزَهَ بغداد! فقال له: يا أميرَ المؤمنين، الشيءُ بتمامه[٥]، ثم قال:

فـصـحـوتُ بـالـمـأمـون مـن سُـكـري ورأيـتُ خـيـرَ الأمـرِ مـا اخـتـارا

ورأيـتُ طـاعـتَـه مـؤدِّيـةً لـلـفَـرْض إعـلانـاً وإسـرارا

فـخـلـعـتُ ثـوبَ الـلـهـوِ مـن عُـنـقـي ورضـيـتُ دارَ الـشـامِ[٦] لـي دارا

وظَـلِـلـتُ مـعـتـصـمـاً بـطـاعـتـه وجِـوارِه وكـفـى بـه جـارا

إنْ حـلَّ أرضـاً فـهْـي لـي وطـنٌ وأَسـيـر عـنـهـا حـيـثـمـا سـارا

فرضي عنه وأَجازه.

وللمأمون: [من الكامل]

قـل لـلـذيـن تـرفَّـهـوا وتـنـعَّـمـوا سَـفَـهـاً جـهـلـتـم مـوضـعَ الـلـذّاتِ

إنَّ الـنـعـيـمَ إذا أردتـمْ غـيـرُمـا أصـبـحـتـمُ فـيـه مـن الـشُّـبُـهـات

(١) هو أحمد بن محمد بن يحيى أبي محمد. انظر الأغاني٢٠/ ٢٥٧، ٢٦٠.

(٢) في الأغاني: ذا.

(٣) لم تجود في (خ) و (ف)، والمثبت من الأغاني.

(٤) جبل بكرمان.

(٥) في (خ): اسمع تمامه.

(٦) في الأغاني: دار الجد.

وتركتم النَّفْسَ النَّفيسةَ ضَلَّةً ... حَيرى من الآثام والغَفَلات
ونعيمُها طلبُ الخلاصِ لها من الـ ... جسمِ المحيطِ بها عن الدَّرجات
سكنتْه مُكرَهةً [و][1] قُلِّد حُرْمةً ... مِن صِرْفها ما ساغ في اللَّهَوات

وله: [من الكامل]

العقلُ أنفعُ للفتى من مالهِ ... في الفرق بين رشادِه وضلالهِ
قلبُ الفتى ولسانُه أَولى به ... في فخره من عمِّه أو خاله

وتمنَّعت عليه[2] جاريةٌ له، وكان كَلِفاً[3] بها، فبعث إليها رسولاً، فأَبطأَ عليه، فلمَّا عاد قال المأمون: [من الطويل]

بعثتُك [مشتاقاً] ففُزتَ بنظرةٍ ... وأَخلفتَني[4] حتى أسأتُ بك الظَّنَّا
وناجيتَ مَن أهوى وكنتُ مباعَداً ... فيا ليتَ شِعري عن دُنوِّك ما أَغنى
ونزَّهتَ طَرْفاً في محاسن وجهها ... ومتَّعتَ باسْتِسْمتاعِ نغمتِها الأُذْنا
أَرى أَثَراً منها بعينك لم يكن ... لقد سرقتْ عيناك من حُسْنها حُسْنا
فيا ليتني كنتُ الرسولَ [وكنتَني][5] ... وكنتَ الذي يُقصَى وكنتُ الذي يُدْنَى

وله[6]: [من الوافر]

عَرِيتُ من الهوى وبرئتُ[7] منه ... لَئن أنا لم أُعاقبْ[8] مُقلتَيكا
بعثتُك رائداً فسرقتَ منه[9] ... محاسنَه بلحظةِ ناظرَيكا
لَئن كنتَ الغداةَ كتمتَنيها ... لقد ظهرتْ محاسنُها عليكا

(١) ما بين حاصرتين ليستقيم الوزن، ولم نقف على الأبيات.
(٢) في (خ): وغنيت علي، وفي (ف): وغنت علي. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٨، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٢٧.
(٣) الكَلِف: الرجل العاشق. القاموس (كلف).
(٤) في المصادر: وأغفلتني. وما بين حاصرتين منها.
(٥) ما بين حاصرتين من الوافي بالوفيات ١٧/ ٦٦٠.
(٦) الأبيات في ديوان أبي تمام ٤/ ٢٥١.
(٧) في (خ) و (ف): وريب. والمثبت من الديوان.
(٨) في (خ) و (ف): أعاف.
(٩) في (خ) و (ف): منها.

وغُنِّي بين يدي المأمونِ بشعرِ بشَّار: [من البسيط]

يا عبدَ قُثْمَ وما حاولتُ صَرْمَكمُ ... يوماً من الدَّهر إقصائي وهجراني
هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً ... تدني إليكِ فإنَّ الحُبَّ أقصاني[1]

فزاد فيه:

قالت علمتُ وخيرُ القولِ أصدقُه ... بَذْلُ الدَّراهم يُدني كلَّ إنسانِ
مَن زاد في النَّقد زِدنا في مودَّته ... ما يطلب الناسُ إلَّا كلَّ رُجْحاني[2]

وأمر المأمونُ حِمْيَرَ[3] بن نعيمٍ بأمر، فقصَّر فيه، وكان عظيمَ اللحيةِ والجسم، فقال: [من الطويل]

خليلَيَّ ما الفتْيانُ أن تَكبُرَ اللِّحى ... وتعظُمَ أبدانُ الرِّجالِ من الأكلِ
ولكنَّما الفتْيانُ كلُّ سَمَيْدَعٍ ... صَبورٍ على الآفات في الخِصْب والأَزْل[4]
خَروج عن الغمَّا نَهوضٍ إلى العُلا ... ضَروبٍ بِنَصل السيفِ مجتَمِعِ العقل
رأيتُ رجالاً يمنعون نَوالهمْ ... وليس يُصان العِرضُ إلَّا مع البَذْل

وله[5]: [من السريع]

أُقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عمَّا قال مسؤولُ
أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ ... على التُّقى والبِرِّ مجبول
وأنَّه كان الإمامَ الذي ... له على الأُمَّة تفضيل
يقول بالحقِّ ويختاره ... ولا يعانيه الأَباطيلُ
كان إذا الحربُ براها القَنا ... وقصَّرت عنها البَهاليل
يمشي إلى القِرْن وفي كفِّه ... أبيضُ ماضي الحدِّ مصقول

(١) البيت الأول لم أقف عليه، والبيت الثاني هو الأول من أربعة أبيات في ديوان بشار ٢/ ٥٤١، وانظر العقد الفريد ٦/ ٦٣.

(٢) في محاضرات الأدباء ٣/ ٤٨٠ أن البيتين لامرأة أجابت بهما بشاراً على قوله: هل تعلمين...، وانظر ديوان بشار.

(٣) في (ف): حمور. ولم أقف على مصدر الخبر.

(٤) الأزل: الضيق والشدة. القاموس المحيط (أزل).

(٥) الأبيات للسيد الحميري، انظر الأغاني ٧/ ٢٤٧.

مَشيَ العَفَرْنَى[١] بين أشبالِه أسلمه للقانص الغيلُ

وله: [من السريع]

لا تُقبلُ التوبةُ من تائب إلَّا بحبِّ ابنِ أبي طالبِ
حبُّ عليٍّ لازمٌ واجبٌ في عُنق الشاهدِ والغائب
أخي رسولِ اللهِ حِلف الهدى والأخُ فوق الخِلِّ والصاحبِ
وحُبُّ أولادِ نبيِّ الهدى فرضٌ على الطارق والسَّارب
فإنَّهمْ واللهِ أهلُ العَبَا فوق مقالِ المارقِ الناصِبيْ
إنْ مال ذو النَّصْب إلى جانبٍ مِلتُ مع الشِّيعيِّ في جانبِ

وقال ابنُ أكثم: عُرِضت على المأمون جاريةٌ فاستحسنها، فأراد أن يَختبرَها فقال: [من البسيط]

ماذا تقولين فيمن شفَّه سَقَمٌ من جَهد حبِّك حتى صار حيرانا

فقالت:

إذا وجدنا مُحِبّاً قد أضرَّ بهِ داءُ الصَّبَابةِ أَولَيناه إحسانا[٢]

فاشتراها فحَظِيت عنده.

وممَّا يُنسب إلى المأمون: [من الخفيف]

إنَّما مجلسُ النّدامى بساطٌ للمودَّات[٣] بينهمْ وضعوهُ
فإذا ما انتهَوا إلى ما أرادوا من حديثٍ ولذَّة رفعوه

وقال العُتْبي: كان المأمونُ إذا جاء آخِرُ شعبانَ اشتغل بلهوه وقال: [من مجزوء المتدارك]

جاءكِ الصَّومُ فاجلسي وخذي في التنجُّسِ
بادري الصومَ بادريـ ـهِ براحٍ وأكؤُس

(١) العفرنى: الشديد، ولَبُؤة عفرناة. القاموس المحيط (عفر).
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣٩/ ٢٧٨-٢٧٩.
(٣) في (خ) و (ف): بساط المروآت. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ١٧٠.

وادفني مُغرَمَ الهوى بين آسٍ ونَرْجِسِ
كلَّما مرَّ مجلسٌ أتْبِعيه بمجلس
أَطلِقي ألسُنَ السُّرو رِ فإنْ جاءَ فاحبِسي

[حديثُ الشِّطرنج:]

وقال الصُّولي: كان المأمونُ قد اقترح في الشِّطرنج أشياء، وكان يحبُّ اللَّعِبَ بها، وينهى مَن يقول: تَعالَ [حتى] نلعب، ويقول: حتى نتناقل.

[قال الصُّولي:][1] ولم يكن حاذقاً بها، وكان يقول: أنا أدبِّر أمرَ الدنيا وأَتَّسع لها وأَضيق عن تدبير شِبرَين! يعني رُقعةَ الشِّطرنج. وله فيها أشعار، منها: [من البسيط]

أرضٌ مربَّعة حمراءُ من أَدَم ما بين إِلْفَينِ معروفَين بالكَرَمِ
تذاكرا الحربَ فاحتالا لها حِيَلاً من غير أنْ يأثما فيها بسَفك دمِ
هذا يُغير على هذا وذاك على هذا يُغير وعينُ الحَزْم لم تَنَم
فانظرْ إلى فِطَنٍ جالت بمعرفةٍ في عسكرَين بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ[2]

وقيل: [إنَّ الأبيات][3] لعليِّ بن الجَهم.

دخل أحمدُ بن أبي دؤادَ ويحيى بنُ أكثمَ على المأمون، فأُتي بقَدَح فيه مطبوخ، فعرضه عليهما، فأَبياه، وكان ابنُ أكثمَ يُبيح شُربَه ولا يشربه، ودخل عَمرو بنُ مَسعدة، فدفعه المأمونُ إليه، فقال: واللهِ ما شربتُه قطّ، فأَطرق المأمونُ رأسَه طويلاً ثم رفعها وقال: [من الكامل]

رُدَّا عليَّ الكأسَ ويحكما لا تدريان الكأسَ ما تُجْدي
لو ذُقتما ما ذقتُ ما مُزِجت إلَّا بدمعكما من الوَجْدِ
خوَّفتماني اللهَ ربَّكما وكخيفتَيه رجاؤه عندي
إنْ كنتما لا تشربانِ[4] معي خوفَ العقابِ شربتُها وحدي

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) مروج الذهب ٨/ ٣١٦، و تاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و (ف): تريان. والمثبت من ديوان أبي نواس ص ١٩٣، والأبيات له.

وقال: [من الوافر]

سأَشربها وأَزعمها حراماً وأَرجو عفوَ ربٍّ ذي امتنانِ
ويَشربها ويزعُمها حلالاً وتلك على الشَّقِيِّ خطيئتان[1]

و[قال الصُّولي:][2] دخل إبراهيمُ بن المهديِّ على المأمون، وكان جسيماً، فقال له المأمون: ما أظنُّك عشقت قطّ، قال: ولِمَ؟ قال: لتمام جسمِك، وصفاءِ لونك، وخلوِّ قلبك، وهذه غيرُ صفةِ العاشق، وأَنشد المأمون: [من السريع]

وجهُ الذي يعشقُ معروفُ لأَنَّه أَصفرُ مَنحوفُ
ليس كمن يأتيك ذا جُنَّةٍ كأَنَّه للذَّبح مَعلوف

فأَنشد إبراهيم: [من المنسرح]

وقائلٍ لستَ بالمحبِّ ولو كنتَ محبّاً هزلْتَ من زَمَنِ[3]
فقلتُ قلبي مكاتمٌ بدني حبَّه والحبُّ فيه مُختزَنُ

وعبث أبو عليٍّ بنُ الرشيد بأخيه أبي إسحاقَ في مجلس المأمون، فاحتمله، فأَنشد المأمونُ بعدما قاما: [من الكامل]

يلقى الفتى بلسانه إخوانَهُ في بعض منطقِه بما لا يُغفَرُ
ويقول كنتُ مداعباً ومازحاً هيهاتَ نارُك في الحشا تتسعَّر
أَوَ ما علمتَ وما أَظنُّك جاهلاً أنَّ المزاحَ هو السِّبابُ الأَصغَر[4]

[ذِكْرُ ما نُقل من كلام المأمونِ وجواباته ونحوِه:

حكى الصوليُّ قال: حضر عند المأمونِ ثَنَوِيّ، قال المأمون: أسألُك عن حرفَين لا أَزيدك عليهما، قال: اِسأل، قال: هل ندم مسيءٌ على إساءته؟ قال: نعم، قال: فالندمُ على الإساءة إساءةٌ أم إحسان؟ قال الثَّنوي: إحسان، قال: فالذي ندم هو الذي أَساءَ أم

(١) في (خ) و (ف): بلسان. والمثبت من مروج الذهب ٨/ ٣٤٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) (ف): منذ زمن، والمثبت من الموشى ص ٧٨.
(٤) الأبيات لمحمود الوراق، كما في الموشى ص ٢٢، وزهر الآداب ١/ ٤٧٦، وجمع الجواهر ص ٣٥. وانظر تكملة ديوان أبي العتاهية ص ٥٣٩.

غيرُه؟ قال: هو الذي أَساء، قال له المأمون: فندم على شيءٍ كان منه أو من غيره؟ فانقطع الثَّنوي؟

قلت: والعجبُ من المأمون حيث سمع دعوى الثَّنويِّ، ثم قال له المأمون: أَخبِرني عن قولك: اثنين، هل يستطيع أحدُهما أن يخلقَ خلقاً لا يستعين فيه بصاحبه؟ قال: نعم، قال: فلمَ تعبد اثنين يخالف كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، وواحدٌ يخلق كلَّ شيءٍ خيرٌ لك من اثنين مختلفين؟!.

وقال الصُّولي:][1] العقلُ أَنفسُ مِنحة، وأَربحُ صفقة، وأبهى حُلَّة، وأفضلُ خلَّة، وأكرمُ صاحب، يؤنسك إذا استوحشتَ من الجهَّال، ويوحشك إذا استأنستَ بالأَغمار، ويريك ما غاب عن عينيك، ويكشف لك ما خَفِيَ عن نظرك، فلله دَرُّ العقلِ من جوهرٍ ما أنفسَه في قلوب الحكماء، وأجلَّه في صدور العلماء، لو تجسَّم حتى يُتوسَّم، لكان أحسنَ منظراً من المعشوق في عين العاشق، وأَحلى من المودَّة في قلب الوامقِ الصادق.

وقال: روِّحوا الأفهامَ كما تروِّحوا الأجسام، فإنَّ العقل المكدودَ ليس لرؤيته لَقاح، ولا لرأيه نَجاح. وقال: العقلُ غريزة، وكمالُه التَّجربة.

وقيل له: بمَ نلتَ ما نلتَ؟ فقال: بطاعة العقلِ وعصيان الهوى.

وقيل له: ما بال الميت يثقل على حامليه؟! فقال: لأنَّه مركَّب من ثِقَل وخِفَّة، فالثقيلُ هو البدن، والخفيفُ هو الرُّوح، فإذا مات بقي الثقيلُ وذهب الخفيف. أخذ هذا المعنى أبو عليِّ بن لاسد[2] فقال: [من الكامل]

ثَـقُـلَـت زجـاجـاتٌ أَتـتـنـا فُـرَّغـاً ... حـتـى إذا مُـلـئـت بـصِـرف الـرَّاحِ

خـفَّـت فـكـادت أن تـطـيـرَ صَـبَـابـةً ... وكـذا الـجُـسـومُ تَـخِـفُّ بـالأَرواح

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) كذا في (خ) و (ف)، والبيتان في جذوة المقتبس ص ١٧٠، والوافي ٨/ ٣٢٨ منسوبين لأبي علي إدريس بن اليمان العبدري الشبيني الأندلسي، وهما في معجم الأدباء ١٠/ ٣٧-٣٨ لأبي علي الحسين بن عبد الله البغدادي.

[وكان المأمونُ يقول: إياكم والشُّونِيزَ في كتبكم. يعني النَّقطَ والشَّكل. قال المصنِّف رحمه الله: كان يعتمد على فِطنته، والأماكنُ التي فيها الإشكالُ لا بدَّ من ذلك فيها][1].

وقال [ابنُ أكثم: سمعتُ] المأمونَ [يقول:] لا نُزهةَ أطيبُ من النظر في عقول الرِّجال.

وقال: غَلَبة الحجَّة أحبُّ إليَّ من غَلَبة القدرة؛ لأنَّ غلبةَ القدرةِ تزول بزوالها، وغَلَبةَ الحجَّةِ لا تزول أبداً.

وقال: إنَّ رجلاً ليس بينه وبين اللهِ أحدٌ أن يخشاه لَحقيقٌ أن يتَّقيَ الله.

و[قال الصُّولي:] كتب إليه رجلٌ يتظلَّم من عليِّ بن هشام وأنَّه لا يدفع إليه مالَه، فوقَّع إلى علي: ليس من المروءة أن تكونَ آنيةُ بيتك ذهباً وفضةً ويكونَ غريمُك عارياً وجارُك طاوياً.

[وقال اليزيدي: جلس المأمونُ يوماً في مجلس الخلافةِ ومجلسهُ معمورٌ بالعلماء والخلفاء، فتقدَّمت إليه امرأةٌ فقالت: يا أمير المؤمنين، مات أخي وخلَّف ستَّ مئةِ دينار، فأعطَوني ديناراً واحداً وقالوا: هذا نصيبُك. فأطرق المأمونُ ساعةً ورفع رأسَه فقال: صدقوا، فقيل له: يا أمير المؤمنين، من أين علمت؟! فقال: هذا رجلٌ مات وترك أربعَ بنات، لهنَّ الثُّلثان أربعُ مئة، وترك والدة، لها السُّدس مئةُ دينار، وزوجةً، لها الثُمن خمسةٌ وسبعون، وخلَّف اثني عشرَ أخاً وأختاً واحدة، لكلِّ أخٍ ديناران والأختُ دينارٌ واحد. قالت المرأة: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين. فعجب الحاضرون من فِطنته][2].

وخرج إلى الصَّيد، فاجتاز ببيوت بعضِ العرب، فرأى غلاماً وَضيئاً، فقال: يا غلام، ممَّن أنت؟ قال: من قُضاعة، قال: من أيِّها؟ قال: من كَلْب، قال: وإنَّك لَمن الكلاب؟! قال: لسنا منهم، وإنَّما نحن من قبيلةٍ تُدْعى كلباً. ثم قال للمأمون: يا عمّ، فممَّن أنت؟ قال: ممَّن تُبغضه العرب كلُّها، قال: فأنت من نِزار؟ قال: فأنا ممَّن

(١) ما بين حاصرتين من (ف)، وينظر الخبر في العقد الفريد ٤/ ١٧٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

تُبغضه النِّزار، قال: فأنت من مُضر؟ قال: فأنا ممَّن تُبغضه المُضَر، قال: فأنت من قُريش؟ قال: لا، قال: فأنت من بني هاشم؟ قال: فأنا ممَّن تَحسُده بنو هاشم. فقام الغلامُ قائماً وقال: فإذن أنت أميرُ المؤمنين، وسلَّم عليه، فوَصَله.

واعترضه ابنُ زُرعةَ الجُذَامي وقال له: يا أميرَ المؤمنين، انظر لعرب الشام كما تنظر لعَجَم خُراسان، وأكثر عليه، فقال: قد كثَّرت عليّ، واللهِ ما أنزلتُ قيساً عن ظهور الخيلِ إلَّا وأرى أنه لم يبقَ في بيت مالي درهمٌ ولا دينار، وأما اليمن، فواللهِ ما تحبُّني ولا أحبُّها قطّ، وأما قُضَاعة، فسادتُها ينتظرون خروجَ السُّفيانيِّ لتكونَ من أَشياعه، وأَمَّا رَبيعة، فساخطةٌ على الله تعالى منذ بُعث محمدٌ ﷺ من مُضَر؛ ولهذا لم يَخرجْ من الخوارج أحدٌ إلَّا وكانوا معه، فكيف لا أَنظر لعجم خُراسان!

وقال: الواجبُ على مَن خدم الملوكَ ألَّا يغترَّ بهم عند الرِّضا، ولا ينزعجَ عند السَّخَط، ولا يُلحفَ عليهم في السؤال؛ فإنَّ السلطانَ كالبحر تضطرب أمواجُه تارةً وتارة.

وقال: مَن صحب الملوكَ بالنصيحة لهم والأَمانة، كان أكثرَ عدوّاً ممَّن صحبهم بالخيانة؛ لأنَّ الذي ينصحه يتَّفق عليه صديقُ السلطان وعدوُّه، فصديقُ السلطانِ يَغبِطه على منزلته، وعدوُّه يكاشره لمناصحته.

وقال لبعض حُجَّابه: لا أراك على بابي ولك خصمٌ أبداً.

و[قال أبو العَيناء:][1] تظلَّم إليه رجلٌ من عَمرو بنِ مَسعدةَ، فوقَّع إليه: يا عَمرو، أُعمر نعمتَك بالعدل، وإلَّا هدمها الجَور؛ فليس بين الحقِّ والباطلِ نَسَب.

ورَفع إليه متظلِّم رُقعةً يقول: يا أميرَ المؤمنين، ظلمني أخوك أبو عيسى، فكتب على رأسها: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ورفع إليه رجلٌ قصَّةً يتظلَّم من محمد بنِ الفضل الطُّوسي، فوقَّع على رأسها: قد احتملنا شراسةَ خُلقِك يا محمد، أما ظلمُك للرعيَّة فلا.

و[قال الصُّولي:][2] خرجتْ [يوماً] رقعةٌ من المأمون وفيها: يُعطى غسانُ بن عبَّادٍ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

ثلاثةَ آلافِ دينار؛ لتَركه ما لا يعنيه، واليزيديَّ خمسين ألفاً؛ لصمته، وثُمامةُ بن أشرسَ ثلاثَ مئةِ ألف؛ لحُسْن جَدَله، وأحمدُ بن أبي خالدٍ ألفَ ألفِ درهم، لإفراط شهوته.

وقال عليُّ بن صالح: قال لي المأمونُ لمَّا قدم الشام: أَبغِني رجلاً من أهل الشام له أدبٌ يجالسني ويُقِلُّ كلامَه، فدخلت على رجلٍ فقلت: إنِّي مدخلُك على المأمون، فلا تسألْه عن شيءٍ حتى يبتدئَك، فأدخلتُه عليه، فاستدناه وقال: إنِّي أُريدك لمحادثتي، فقال الشامي: إنَّ الجليسَ إذا كانت ثيابُه دون ثيابِ جليسه دخلتْه غَضَاضة، فأمر له المأمونُ بدَستٍ من ثيابه، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، إذا كان قلبي متعلِّقاً بعيالي لم يُنتفعْ بمجالستي، فقال: خمسون ألفاً تُحمَل إلى منزله، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، وثالثة، قال: ما هي؟ قال: دعوتَني إلى شيءٍ يحول بين المرءِ وعقله، يعني الشَّراب، فإنْ كانت منِّي هَنَةٌ تغتفرها، قال: لك.

وقال عُمارةُ بن عَقيل: أنشدتُ المأمونَ قصيدةً فيها مديح، وهي مئةُ بيت، فلمَّا بدأتُ بصدر البيتِ سبقني إلى قافيته، فقلت: واللهِ ما سمعها منِّي أحد، قال: هكذا ينبغي أن تكون، ثم أَقبل عليَّ وقال: أَمَا بلغك أنَّ عُمرَ[1] بنَ أبي ربيعةَ أنشد ابنَ عباسٍ عبدَ اللهِ قصيدتَه التي يقول فيها: [من المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا

فقال ابنُ عباس:

ولَلدَّارُ بَعدَ غدٍ أبعدُ

فأنشد ابنُ عباسٍ القصيدة، فأنا من ذاك.

وقال عُمارة: قال لي المأمونُ يوماً ونحن على الشَّراب: يا أعرابيّ، حلفتُ ما أخبثَك! قلت: وما ذاك؟! فقال: ألستَ القائل: [من البسيط]

قالت مُفدَّاةُ لمَّا أنْ رأتْ أَرَقي ... والهمُّ يعتادني من طَيفه لَمَمُ
أَنهبتَ مالَك في الأدْنَينَ أَوَّلَه ... [و] في الأباعد حتى مسَّك العَدَم
فقلتُ عَذْلَكِ قد أكثرتِ لائمتي ... ولم يمتْ[2] حاتِمٌ هُزْلاً ولا هَرِم

(١) في (خ) و (ف): عمرو، وهو خطأ، والبيت المذكور في ديوانه ص ٣٠٨.

(٢) في (خ): لا يمت، وفي (ف): ولا يمت. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٥، وما بين حاصرتين منه.

أين رميت نفسَك! إلى هَرِم بنِ سنانَ وحاتِمِ الطائيِّ وهما سيِّدا العربِ وقد فعلا وفعلا! وأخذ يعدِّد أفعالَهما، فقلت: أنا خيرٌ منهما، أنا رجلٌ من العرب مسلم، وهما كانا كافرين. فسكت.

ودخل المأمونُ يوماً بيتَ الدِّيوان، فرأى غلاماً جميلاً، فقال: مَن أنت يا غلام؟ فقال: أنا الناشئُ في دولتك، المتقلِّب في نعمتك، المؤمِّل لخدمتك، الحسنُ بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلامَ فوق مرتبته.

وقال سعيدُ بن سَلْم[1] بنِ قُتيبةَ له: يا أميرَ المؤمنين، لو لم أَشكر اللهَ إلَّا على حُسن ما أبلاني من قصدك إليَّ بحديثك وإشارتِك إليَّ بطَرْفك، لَكان ذلك من أعظمِ ما توجبه النِّعمة، فقال له: واللهِ إنِّي لَأجد عندك من حُسْن الإفهام إذا حدَّثت وحسن الاستماعِ إذا حُدِّثت ما لا أَجده عند غيرِك.

[وقال ابنُ أَكثم: كان رجلٌ يسبق الحاجَّ ليرتادَ لهم منزلاً، فخرج مرَّةً فأبطأ، فسبقه غيرُه وجاء في الأخير] فلمَّا عاد إلى بغداد، كتب رُقعةً إلى المأمون يسأله شيئاً وكتب فيها: العبدُ سابقُ الحاجّ، فنقط المأمونُ [نقطةً] أخرى إلى جانب الباء، فصار سايقاً؛ لأنَّه جاء في الأخير.

وقال ثُمامةُ [ابنُ أشرس:][2] لما وَلِي المأمونُ الخلافةَ قلتُ له: قد كان لي فيك أَملان، فبلغت أَحَدهما، فقال: ونبلِّغك الآخَر. فأما الأوَّل فأَشار [ثُمامة] إلى المال، و[أمَّا] الثاني [فأشار] إلى مُنادمة[3] [المأمون] فرفعه المأمونُ وجعله من خواصِّه وسُمّاره.

وقال العُتْبي: دخل أبو عليٍّ المِنْقَريُّ على المأمون، وكان أُميّاً لُحَنة، فقال له: يا أبا عليّ، بلغني أنك لُحَنة، وأنَّك لا تقيم الشِّعر، وأنك أمِّيّ، فقال: أما اللَّحن فيسبقني لساني إليه، وأما الشِّعر والأمِّيَّةُ فقد كان سيِّدُ الأوَّلين والآخِرين كذلك، فقال له

(١) في (خ) و (ف): سلام، وهو خطأ، والمثبت من العقد الفريد ٢/ ١٣٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و (ف): المنادمة، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.

المأمون: سألتك عن عيوبٍ ثلاثةٍ فزدتَني عيباً رابعاً، وهو الجهل؛ فإنَّ ذلك كان في رسول اللهِ ﷺ فضيلة، وهو فيك وفي أمثالك نقيصةٌ ورذيلة، وإنَّما مُنع من ذلك لنفي الظِّنَّةِ عنه، لا لعيبٍ في الشِّعر والكتابة.

وقال ثُمامة: كنتُ جالساً عند المأمونِ إذ دخل النَّوشَجان، وكان على بيت المال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد كَثُرت أسماءُ الغارمين، وليس في بيت مالِ الصَّدقات درهمٌ واحد، فقال له المأمون: وكيف لا تَكثُر وموسِرُ الناس لا يفتقد مُعْسِرَهم، وقويُّهم لا يراعي ضعيفَهم، وغنيُّهم لا يَحنو على فقيرهم! واللهِ لقد أدركتُ أيامَ أبي والمالُ فيها أقلُّ من هذه الأيَّام، وإنَّ فيها لمئةَ ألفِ يدٍ طويلةٍ في الخيرات، باذلةٍ للمعروف، مُراعيةِ الإخوان، واللهِ إني لأَحسب أنَّه خرج من يد أخي محمدٍ وأمِّه أمِّ جعفرٍ لمن قصدهما ما يزيد على ثلاث مئةِ ألفِ ألفِ دينار، ومنهم البرامكة، وأين مِثلُهم! كان معروفُهم يُشرق [تارةً] ويُغرِب أخرى، لا يَقصدون إلا تثميرَه وتوفيرَه، وكان لمن ذكرتُ بِطانة [ولكل بطانة][1] بطانة، يقصد كلُّ واحدٍ منهم ما يفعله المتبوعُ من الصِّلات والعطايا، أَليس من انقلاب هذا الدَّهرِ وبوارِ هذا العالَمِ أنْ ليس في سلطاني مَن يجود بدرهمٍ إلا مالكُ بن شاهي وعبدُ الله بنُ بشير! كيف بنا إذا جمع اللهُ الأوَّلين والآخِرين وحضر كلُّ إمامٍ وزُمرتُه في الموقف وتفاخر الأئمَّة بعضُهم على بعضٍ في الأفعال التي فعلوها! فبمنْ أُباهي! بابن شاهي أم بابن بشير!

ثم قال: أَحضِروا أساميَ الغارمين، فأَحضروها، فوقَّع عليها بثلاث مئةِ ألف دينار، وقال: لا يتجاوز الضعفاءُ البصرةَ والموصل، وقال: أرجو أن أكونَ قد أدَّيتُ بعضَ ما أَوجبه اللهُ عليّ. قال ثُمامة: هذا وقد أحصيت عطايا مالِك بن شاهي وعبدِ الله ابن بشيرٍ فكانت ستَّ مئةِ [ألفِ][2] دينار.

وقال المأمون: مَن أراد أن يكتبَ إلى رجلٍ كتاباً ولا يقفَ عليه سوى ذلك الرَّجل، فلْيكتبْه بلبن حليبٍ من ساعته ويبعثه إليه، فيحرق المكتوبُ إليه قِرطاساً ويَذُرُّ عليه من رَماده، فيقرأ ما كتب به إليه، وهذه من الخواصّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

وقال [ابنُ أكثم: قال لي] المأمون: الملوكُ تحتمل كلَّ شيءٍ إلَّا القدحَ في المُلك، وإفشاء السِّرِّ، والتعرُّض للحَريم.

[وقد ذكرنا طرفاً من كلام المأمون للعتابي سنة ثمانٍ ومئتين.

حديثُ المأمونِ مع الحسن بنِ زيادٍ اللؤلؤي:]

وقال رشيدٌ الخادم: كان الحسنُ بن زيادٍ اللؤلؤيُّ يساهر المأمونَ ويسامره، فَنَعَس المأمونُ ليلة، فقال الحسن: أنَعَستَ يا أميرَ المؤمنين، ففتح المأمونُ عينَه وقال: لستَ تصلح أن تكونَ من سُمَّار الملوك، وإنما تصلحُ أن تُفتيَ في مُحْرِمٍ صاد ظبياً، ونحن ظلمناك إذ كلَّفناك ما ليس لك بخُلُق، ثم أنشد: [من الطويل]

ظلمتُ امرأً كلَّفتُه فوق خُلْقه ... وهل كانت الأخلاقُ إلَّا غرائزا

يا غلام، خذ بيده فأَقمه. ولم يسامرْه بعد ذلك.

[حديثُ الخارجيّ:

حكى العَتَّابيُّ قال:] أُتي المأمونُ بخارجي، فقال له: ما حَمَلك على الخروج علينا؟ قال: قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فقال له المأمون: وتشهد أنَّ اللهَ أنزل هذه الآية؟ قال: نعم، قال: من أين علمتَ ذلك؟ قال: من إجماع الأمَّة، قال: كيف رضيتَ بإجماعهم في التنزيل ولم ترضَ بإجماعهم في التأويل؟! ففهم الرجلُ، فقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. ومعنى كلامِ المأمون أنَّها نزلت في المستحلِّين [فهذا معنى التأويل[1].

حديثُ المأمون مع الذين ادَّعَوا النُّبوَّة:

حكى العتَّابي] أنَّ رجلاً في زمن المأمون ادَّعى النبوَّة[2]، فقال [المأمون] ليحيى بنِ أكثم: قُمْ بنا إليه، فخرجا متنكِّرَين، فدخلا عليه، فجلس المأمونُ عن يمينه ويحيى عن يساره، فقال له المأمون: مَن يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل، قال: ومتى كان عندك؟ قال: الساعةَ، قال: وما الذي قال لك؟ قال: يدخل عليك رجلان يقعد أحدُهما عن يمينك والآخَرُ عن يسارك، والذي عن يسارك أَلْوطُ خَلقِ الله، فقال

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): وادعى رجل في زمن المأمون النبوة. وما بين حاصرتين من (ب).

المأمون: أَشهد أنَّك رسولُ الله. ثم قاما وهما يتضاحكان.

[قال:] وأُتي بآخَر [يدَّعي النبوَّة] فقال: [له المأمون:] ما علامةُ نبوَّتك؟ قال: أَعلمُ ما في نفسك، قال: وما في نفسي؟ قال: تقول إنَّني كاذب. فحبسه [المأمون] أياماً، ثم أَحضره فقال: أُوحي إليك بشيء؟ قال: لا، قال: ولِم؟ قال: لأنَّ الملائكةَ لا يدخلون الحبس، فضحك وأَطلقه.

[وادّعى آخَرُ النبوَّة، فأَحضر ثُمامةَ وقال له: ناظِرْه، فقال له ثُمامة بنُ أَشرس: يا أميرَ المؤمنين، ما أكثرَ الأنبياءَ في زمانك! ثم قال له ثمامة: ما علامةُ نبوَّتك؟ قال: أَنكِحُ امرأتَك في حضرتك فتلد غلاماً يَنطِق في المهد أنَّني نبيّ، فقال ثُمامة: أَشهد أنَّك نبيٌّ مُرسَل، فقال المأمون: ما أَسرعَ ما آمنتَ به! فقال: ما أَهون عليك! يفعلُ بامرأتي وأنا أُبصر! فضحك المأمونُ وأَطلقه].

وقال ابنُ أكثم: بِتُّ ليلةً عند المأمون، فانتبه نصفَ الليل وقد طفئ المصباح، فصاح: يا غلام، شَمعة، فجاء الفرَّاشُ بها، فقال: اكشفوا فراشي، فكشفوه، فإذا حيَّة بطوله، فقتلها، [قال يحيى:][1] يا أميرَ المؤمنين، قد انضاف إلى كمالك عِلمُ الغيب، فقال: معاذَ الله، وإنَّما هتف بي هاتفٌ الساعةَ يقول: [من مجزوء الكامل]

يا راقدَ الليلِ انتبهْ ... إنَّ الخُطوبَ لها سُرَى
ثِقةُ الفتى مِن دهره[2] ... ثقةٌ محلَّلَةُ العُرى

فعلمتُ أنَّه حدث أَمر.

[حديثُ المأمونِ مع القُضاة ومدحُ إسماعيلَ بن حمادِ بن أبي حنيفة:]

حكى بشرُ بن الوليدِ القاضي قال: قال المأمون: صِفْ لي أبا يوسُفَ القاضي؛ فإنِّي لم أَرَه، فذكرتُ له بعضَ محاسنه، فقال: وددتُ واللهِ كان زين مجلسنا به، ثم قال لي: يا بِشر، ما من شيءٍ من أمر الخلافةِ إلَّا وأنا قادرٌ على تدبيره، إلَّا ما كان من أمر القُضاة؛ فإنَّه قد أَعياني، هذا فلانٌ ولَّيناه قضاءَ الأُبُلَّة وأَجرينا عليه في كلِّ يومٍ[3] ألفَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣٨: بزمانه.

(٣) في المحاسن والمساوئ ص١٥١: في الشهر، وانظر المنتظم ١٠/ ٦٠-٦١، وفي المصدرين بعض خلاف عما هنا.

درهمٍ وليس له صَنعةٌ ولا مال، فرفع إليَّ صاحبُ الخبرِ أنَّ نفقتَه في كلِّ شهرٍ أربعةُ آلافِ درهم، من أين الثلاثةُ آلاف! وهذا محمدُ بن سماعةَ ولَّيناه قضاءَ دمشق ورزقناه في كلِّ شهرٍ ألفَ درهم، وقد رُفع إلينا أنَّه يملك من العقار والعبيدِ والإماء والدوابِّ ما قيمتُه مئةُ ألفِ دينار، وأشار عليَّ عليُّ بن هشامٍ في فلان، فولَّيته القضاء، فمضى إلى ابن هشامٍ وقبَّل رأسَه وشكره حيث أشار بولايته، فعلمتُ أنه لا خيرَ عنده، إذ لو كان عنده خيرٌ لعَدَّ الذي صار إليه مصيبة، ولكن إذا أردتَ العفيفَ النظيف الطاهرَ التَّقي، فعليك بإسماعيلَ بن حمادِ بن أبي حنيفة؛ فإنَّه على الحالة التي عرفناه عليها، ما بدَّل ولا غيَّر.

قال: فقلت: جزاك اللهُ خيراً عن أَمانتك، مالك من الخلفاء نظيرٌ إلا عمرُ بن الخطاب؛ فإنَّه كان يفحص عن عمَّاله وقُضاته، فقال: يا بِشر، إنَّ أهمَّ الأمور أمرُ القضاة؛ إذ حكَّمناهم في الأموال والفُروجِ والدِّماء، واللهِ لَوددتُ أن يتأتَّى رجلٌ مَرضيٌّ[1] وأَني أجوع يوماً وأَشبع يوماً].

وقال إبراهيمُ بن عيسى بنِ بُريهةَ بن المنصور: لمَّا أراد المأمونُ المسيرَ إلى الشام، أَقمتُ يومَين وبعضَ الثالث أُهيِّئُ له كلاماً، فدخلتُ عليه فقلت: أطال اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنين في أَدوم العزِّ وأَسبغِ الكرامة، وجعلني من كلِّ سوءٍ فداه، إنَّ مَن أمسى وأصبح يتعرَّف من نعمة اللهِ عزَّ وجلّ - وله الحمدُ كثيراً عليه - برأي[2] أميرِ المؤمنين - أيَّده الله - وحُسْنِ[3] تأييده له، حَسُنَ أن يستديمَ هذه النِّعمة، ويلتمسَ الزيادةَ فيها بشكر اللهِ وشكرِ أمير المؤمنين [وقد أحبَّ أن يَعلمَ أميرُ المؤمنين][4] أنِّي لا أرغب بنفسي عن خدمته بشيءٍ من الخَفض والدَّعة، إذ كان هو يتجشَّم خُشونةَ السَّفرِ ونَصَبَ الطريق، وأنا أَوْلى الناسِ بمواساته، وبذلِ نفسي في خدمته، فإنْ رأى - أكرمه الله - أن يُكرمَني بلزوم خدمتِه والكينونةِ معه، فعل.

---

(١) في (ب): رجلاً مرضيًا. والكلام ليس في (خ) و (ف).

(٢) في (خ) و (ف): أن يتعرف برأي ...، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥١.

(٣) في (خ) و (ف): وأحسن.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف).

فقال لي مبتدئاً من غير تَروية: لم يَعزمْ أميرُ المؤمنين في ذلك على شيء، وإن استصحب أحداً من أهل بيتك بدأ بك، وكنتَ المقدَّمَ عنده، ولا سيَّما إذا أَنزلتَ نفسَك بحيث أَنزلك أميرُ المؤمنين من نفسه، [فإنْ][1] ترك ذلك فمن غير قِلىً لمكانك، ولكن بالحاجة إليك. فكان ابتداؤه أَحسنَ من رَويَّتي.

وقال سعيدُ بن زياد: لمَّا قدم المأمونُ دمشقَ دخلتُ عليه، وكان عندي خاتَمُ رسولِ الله ﷺ وعليه عِقدٌ [معقودٌ][2] على كتابٍ كتبه لنا، فأخذه المأمونُ فوضعه على عينه، وبكى وقال: أَشتهي أدْرِي ما تحت هذا الغشاءِ على هذا الخاتَم [فقال له أخوه أبو إسحاق: حُلَّ العَقد] فقال: ما كنت لِأَحُلَّ عِقداً عَقَده رسولُ اللهِ ﷺ. ثم قال: خذه فضعْه على عينك، لعلَّ اللهَ أنْ يشفيَك.

ذِكْرُ وفاةِ المأمون[3]:

قال سعيدٌ العلَّاف القارئ: كنت في صَحَابة المأمونِ في بلاد الرُّوم، فدعاني يوماً، فوجدتُه جالساً على شاطئ نهرِ البَذَنْدون، وأخوه المعتصمُ جالسٌ عن يمينه وقد دلَّيا أرجلَهما في النَّهر، فقال: يا سعيد، دلِّ رِجلَيك معنا، وانظر هل رأيت ماءً قطُّ أشدَّ برداً ولا أعذبَ ولا أَصفى منه، قلت: نعم[4]، قال: فأيُّ شيءٍ يطيب أن يؤكَلَ ويُشربَ على هذا الماء؟ فقلت: أميرُ المؤمنين أعلم، قال: رُطَب الأَزَاد. فبينا هو يقول هذا إذ سمعنا وَقْعَ لِجامِ البريد، وإذا البغالُ عليها حقائبُ فيها الظرف فيها رُطَب أَزاد، كأنه قد جُني في تلك الساعة، فقال: ادنُ فكل. فأَكلنا جميعاً وشربنا من ذلك الماء، فو اللهِ ما قام منا أحدٌ إلَّا وهو محموم، وكانت منيَّةُ المأمون في تلك العِلَّة، ولم يزل المعتصمُ مريضاً حتى دخل العراق.

[وقال العُتْبي:][5] إنَّما جلسوا على عينٍ يقال لها القشيرة[6]. وقال قوم: أقام مريضاً

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

(٣) في (خ) و(ف): ذكر وفاته.

(٤) أي: نعم ما رأيت مثل هذا قط. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٤٧.

(٥) في (خ) و (ف): وقيل.

(٦) في (ب): العصرة بالعربية، وبالرومية الرقة. وانظر مروج الذهب ٧/ ١-٢.

أيّاماً، وحدثت له مادَّةٌ في حَلْقه، فبطَّت[١] قبل أن تبلغَ وقتَ تمامها، فمات.

[ذِكْرُ وصيَّته:

قال علماءُ السِّيَر:][٢] ولما اشتدَّ به المرض، بعث إلى ابنه العباسِ وهو يظنُّ أنَّه لا يأتيه، فأتاه وقد تغيَّر عقله، فأقام عند أبيه، وكان قد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاقَ المعتصم، ونفذت الكتبُ إلى البلاد بأنَّه الخليفةُ من بعده، ثم أَحضر القضاةَ والعلماءَ والقوّاد، وكتب كتابَ الوصيَّة بمحضرٍ من المعتصم والعباس، ومضمونُه[٣]:

هذا ما أَشهد عليه عبدُ الله بن هارونَ أميرُ المؤمنين أنَّه يشهد أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّه واحدٌ لا شريكَ له في ملكه، ولا مدبِّرَ غيرُه، وأنَّه خالقٌ، وما سواه مخلوق، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ الموتَ حقّ، والبعثَ حقّ، والحسابَ حقّ، والجنَّةَ والنار حقّ، وأنَّ محمداً ﷺ قد بلَّغ عن ربِّه شرائعَ دينه، وأدَّى النصيحةَ إلى أمَّته حتى قبضه اللهُ إليه، فصلَّى اللهُ عليه أفضلَ صلاةٍ صلَّاها على أحدٍ من ملائكته المقرَّبين وأنبيائه المرسَلين، وأنِّي مُقِرٌّ مذنب، أَرجو وأخاف، إلَّا أني إذا ذكرتُ عفوَ الله رجوت، فإذا أنا متُّ فوجِّهوني وغمِّضوني، وأَسبغوا وُضوئي، [وذكر الكفن والصلاة، فقال:] وأَجيدوا كفني، ولْيصلِّ عليَّ أقربُكم منّي نَسَباً، وأكبرُكم سِنّاً، ولْيكبِّر خمساً، ثم لينزلْ في حفرتي أَقربُكم قرابة، وضعوني في لَحدي، وسدُّوا عليَّ باللَّبِن، ثم احثُوا الترابَ عليّ، وخلُّوني وعملي، فكلكم لايُغني عني شيئاً، ولا يدفعُ عني مكروهاً، ثم قِفوا بأَجمعكم، فقولوا خيراً إنْ علمتم، وأَمسكوا عن ذِكر سيِّئ إنْ عرفتم.

ونهى عن البكاءِ عليه والنَّوح، وقال: يا ليت عبدَ الله بنَ هارونَ لم يكن شيئاً، يا ليته لم يُخلَق.

ثم قال لأخيه المعتصم: يا أبا إسحاق، ادنُ منِّي واتَّعظْ بما ترى، وخُذْ بسيرة أَخيك في القرآن وغيره، واعمل في الخلافة إذ طوَّقكها اللهُ [بعنقك] عملَ المريدِ لله، الخائفِ من عقابه، ولا تغترَّ بالله وإمهاله، فكأنْ وقد نزل بك الموت، ولا تغفل عن أمر الرعيَّة،

---

(١) بطَّ القرحة: شقَّها. مختار الصحاح (بطط).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): وكانت وصيته.

اللهَ اللهَ فيهم، وانظرْ في أمر العامَّة، فإنَّ المُلْكَ إنما يقوم بهم، ولا ينتهينَّ إليك أمرٌ فيه صلاحُ المسلمين إلَّا وقدَّمتَه على غيره وإنْ خالف هواك، وخذ من قويِّهم لضعيفهم، وعجِّل الرِّحلةَ إلى العراق، إلى مَقرِّ ملكِك وسلطانك، وانظرْ هؤلاء القومَ الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عن أمرهم، وقوِّهم على الغزو بالعُدَّة والسِّلاح والرِّجال، واتقِ اللهَ في أمرك كلِّه، والسلام.

ولما اشتدَّ به الموت، أَوصاه وصيةً بالغةً ثم قال: وعليك بأبي عبدِ الله أحمدَ بن أبي دُؤاد، لا تفارقْه وأَشركه في المشورة في أمورك؛ فإنَّه موضعٌ لذلك، ولا تتَّخذنَّ بعدي وزيراً تُلقي إليه شيئاً، فقد علمتَ ما نكبني به يحيى بنُ أكثمَ في معاملة الناسِ وخُبْثِ سيرته، حتى أبان اللهُ لي ذلك منه في صحَّة منِّي، فصرتُ إلى مفارقته، فأنا له غير راضٍ بما صنع في أموال اللهِ عزَّ وجلَّ وصدقاتِه، فلا جزاه اللهُ عن الإسلام خيراً، وهؤلاء بنو عمِّك من ولد أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب، فأَحسِن صُحبتَهم، وتجاوزْ عن مسيئهم، واقْبَل من محسنهم، ولا تغفُل عن صِلاتهم؛ فإنها واجبةٌ عليك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الآيات [آل عمران: ١٠٢ وما بعدها].

وكان قريباً من مدينة طَرَسُوس [قال الصُّولي:] عهد [المأمونُ] إلى أخيه[1]: وعبدُ الله ابن طاهرٍ فأقِرَّه على عمله، وكذا إسحاقُ بن إبراهيمَ بنِ مصعب، وكان على بغداد.

[وحكى العُتْبيُّ عن] أحمدَ بن مرزوقٍ قال[2]: لما دخل المأمونُ بلادَ الرُّوم آخرَ مرَّة، وقف قريباً من طَرَسوسَ على تلٍّ عالٍ وأنشأ يقول: [من البسيط]

حتى متى أنا في شَدٍّ[3] وتَرْحال ... وطولِ سَعيٍ وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحُ الدارِ لا أنفكُّ مغترباً ... عن الأَحبَّة لا يدرون ما حالي
بمَشرِق الأرضِ طَوراً أو بمغربها ... لا يخطرُ الموت من حرصٍ على بالي
ولو قعدتُ أتاني الرزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كثرةُ المال

(١) في (خ) و (ف): وكان فيما عهد إلى أخيه...
(٢) في (خ) و (ف): وقال أحمد بن مرزوق.
(٣) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨٣: حط.

وكان يقول: لا أَرجع من هذه السَّفرة، وتوفِّي على نهر البَذَنْدُون يومَ الخميس وقتَ الظُّهر لاثنتي عشرةَ ليلةً بقيت من رجب، وصلَّى عليه المعتصم، وحمله ابنُه العباسُ إلى طَرَسوسَ فدفنه بها، ووكَّل بقبره مئةً من الحرس، وأَجرى على كلِّ رجلٍ منهم في كلِّ شهرٍ تسعين درهماً، ودُفن بدار الإمارة، وتُعرف بدار خاقانَ مولى الرشيد، وهي اليومَ كنيسة، وقبرُه بها، والروم تعظِّمه وتوقد عليه القناديل. [وقال المسعودي:][1] دُفن عن يسار المسجد.

و[اختلفوا في سِنِّه على قولَين: أحدهما: أنَّه] عاش ثمانيةً وأربعين سنة. والثاني[2]: خمسين سَنَة، والأوَّل أصحّ؛ لأنه وُلد سنةَ سبعين ومئة [على ما ذكرنا].

و[اختلفوا في خلافته على قولَين: أحدهما: أنَّها] كانت[3] عشرين سنةً وخمسةَ أشهرٍ وثلاثةَ عشَرَ يوماً سوى سَنتَين وخمسةِ أَشهر [كان دُعي له فيها بمكَّةَ وأخوه الأمينُ ببغداد[4]. والثاني: أنَّها كانت إحدى وعشرين سنة[5].

وقد رثاه جماعةٌ منهم أبو سعيدٍ المخزومي، وهي من أحسن الشِّعر وأَجودِه، فقال:][6] [من الخفيف]

أيُّها الجاهلُ المفكِّرُ في الشَّمـ ... ـسِ المعنَّى بها اعتناءَ المجوسِ
تاركاً حظه[7] المسير من الشَّبـ ... ـتِ يروم المسيرَ يومَ الخميس
ما رأينا النُّجوم أَغنت عن المأ ... مونِ في عزِّ مُلكِه المأسوس
خلَّفوه بعَرْصَتَي طَرَسوسٍ ... مِثلَما خلَّفوا أباه بطُوس[8]

(١) في مروج الذهب ٧/ ٢. وفي (خ) و (ف): وقيل.
(٢) في (خ) و (ف): وقيل. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) و (ف): وكانت خلافته.
(٤) في (خ) و (ف): في محاربة أخيه.
(٥) وقع في (ب) تكرار حيث قال: واختلفوا في خلافته على قولين: أحدهما: أنها كانت إحدى وعشرين سنة. فأثبته كما ترى. وفي (خ) و (ف): وقيل: عشرين سنة وشهوراً. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٠، ومروج الذهب ٧/ ٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٤٢، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨٨-٢٩٣، والكامل ٦/ ٤٣٢، وغير ذلك.
(٦) في (خ) و (ف): وقال أبو سعيد المخزومي.
(٧) في (ب): خطة.
(٨) ذكرت المصادر البيتين الأخيرين. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥، ومروج الذهب ٧/ ١٠١ - ١٠٢، وتاريخ =

وقال الرَّيحاني[١]: [من الخفيف]

ما أقلَّ الدُّموعَ للمأمون ... لستُ أَرضى إلَّا دماً من جُفوني

من أبيات.

وقالت حَظِيَّة [كانت للمأمون اسمُها][٢] تزيف: [من السريع]

يا مَلِكاً لستُ بناسيهِ ... نعى إليَّ الموتَ ناعيهِ

واللهِ لو كنتُ[٣] أرى أنني ... أَقوم في الباكين أَبكيه

واللهِ لو يُقبل فيه الفدا ... لَكنتُ بالمُهجة أَفديه

عاذلتي من جَزَعٍ أَقْصِري ... قد غَلِقَ الرَّهنُ بما فيه

ذِكْرُ أَولادِه:

[قال الصُّولي وغيره:] كان له تسعةَ عشَرَ ذَكَراً وتسعُ بنات، فالذُّكور: العبَّاس، وعبدُ الله الأكبر، وعبد اللهِ الأَصغر، ومحمدٌ الأكبر، ومحمدٌ الأصغر، والحسن، وسليمان، وجعفر، وإسحاق، وعيسى، وهارون، وأحمد، والحُسين، والفضل، وإسماعيل، وموسى، وإبراهيم، ويعقوب، وعليّ.

ولم يشتهر [بالذِّكْر] سوى [اثنين:][٤] العباسِ، وعليٍّ وكنيته أبو الحسن.

فأمَّا العباس، فكان مُغْرًى بشراء الضِّياع والعقار، وكان المعتصم مغرًى بجمع المالِ واقتناءِ الغِلمان والعُدَّة والرِّجال، فكان المأمونُ إذا رآهما تمثَّل: [من الكامل]

= بغداد ١١/ ٤٤٢، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٩٢، وغير ذلك، والأبيات الأربعة جميعاً ذكرها ابنُ النجار في ذيل تاريخ بغداد ٣/ ٦٣ مع بيت خامس، وجاءت عنده الأبيات الأولى هكذا:

أيها الجالس المفكر في الـ ... أمر المعنى به اعتناء المجوس

بارك يوم الاربعاء عن السَّـ ... ـير يروم المسير يوم الخميس

لا تعادِ الأيام وامضِ إذا ... شئت فإن السعود مثل النحوس

ثم أورد البيتين الأخيرين كما هنا.

(١) هو علي بن عبيدة الريحاني، كما في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم ١١/ ٣٦.

(٣) في المنتظم: ما كنت.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

قَـلِـقٌ بـكـثـرة مـالِـه وجـيـادِه[١] حـتـى يـفـرِّقـهـا عـلـى الأبـطـالِ
يـبـني الـرِّجـالَ وغـيـرُه يـبـني الـقُـرى شـتَّـانَ بـيـن قـرًى وبـيـن رِجـال

وجرت للعباس مع المعتصم قِصصٌ نذكرها [في مواضعها][٢] إن شاء اللهُ تعالى.

وأمّا عليّ [بن المأمون]، فإنَّه تزهَّد وترك الدنيا[٣]، وسنذكره آنفاً إن شاءَ الله تعالى.

ولم يشتهرْ من بنات المأمون سوى اثنتين: أمِّ حَبيبٍ زوجةِ عليِّ بن موسى الرِّضا، مات عنها، وأعادها المأمونُ إلى قصره. وأختِها أمِّ الفضل زوجةِ محمد بنِ عليِّ الرضا، حملها إلى المدينة ثم قدم بها بغدادَ فمات عنها [وسنذكرها][٤].

قِصَّةُ عليِّ بنِ المأمون:

[قرأتُ على شيخنا الموفَّق المقدسيِّ رحمه الله من كتاب «التَّوابين» قال: ذكر إبراهيمُ بن الجنيدِ في كتاب «الرَّوضة في زهَّاد الملوك»[٥] بإسناده عن] عبد الحميدِ بن محمدٍ أنَّ المأمونَ كان[٦] يَجِدُ بابنه عليِّ وَجْداً شديداً، ويقدِّمه على أولاده، وكان عليٌّ من أحسن الناسِ وأجملهم، مع حياءٍ وبَشَاشة وتواضع، يلاطف جلساءه، ولا يشرب شيئاً من الأَنبذة، وكان أسخى الناسِ وأحسنَهم خُلقاً.

وكان سببُ تزهّده ما أخبرني به شاكرٌ مولاه قال: جلس يوماً في مستشرَفٍ له على دِجلة، وإذا بحمَّال قد أَقبل عند الزَّوال وعليه دُرَّاعة صوفٍ بيضاءُ بالية، بغير قميصٍ تحتها ولا سراويل، وقد شدَّ على رِجلَيه خِرَقاً من الحرّ، وفي رِجلَيه نعلان متخرِّقان، وعلى رأسه خِرقة، وفي عُنُقه كَرْزَنُه[٧] وطَبَقُه، فأَتى دجلةَ فوضع الطبقَ والكَرْزَنَ على الأرض، وحلَّ الخِرَقَ عن رجليه، وتوضَّأ وغسل أَعضاءه، وصلَّى ركعتين، وفتح

(١) في المحاسن والمساوئ ص ١٧٤: وضياعه.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) بعدها في (ب): وفعل البستي بن هارون.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) سماه موفق الدين المقدسي في التوابين ص١٩٠: زهد الملوك. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ) و (ف): قال عبد الحميد بن محمد: كان المأمون ...
(٧) الكرزن: الفأس. القاموس المحيط (كرزن).

جِراباً وأخرج منه كِسَراً يابسةً مختلفةَ الألوان، فتركها في قصعةٍ وذرَّ عليها ملحاً، وصبَّ عليها من الماء، وأكل أكلَ جائعٍ وهو يشكر اللهَ ويَحمده، ثم قام فشرب من الماء بكفَّيه وقال: لك الحمدُ يا سيِّدي على هذه النِّعمةِ التي تفضَّلتَ بها عليّ، ثم نام ساعة، وقعد فتوضَّأ، ثم صلَّى الظُّهر، وعليٌّ يشاهد ذلك، فقال لبعض الغِلمان: أُخرج إلى ذلك الإنسانِ فأَحضره، فجاء إليه فقال: أَجِب الأمير، فقال: مالي وللأمير! فأغلظ له [فقام][1] وهو يقرأ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ثم دخل فسلَّم، فردَّ عليه وأَمره بالقعود، فقال له جلساؤه: ومَن هذا حتى تأمرَه بالقعود! فزجرهم، ثم أَقبل عليه الأميرُ وقال: أَمِن أهلها أنت؟ قال: نعم، قال: ما صناعتُك؟ قال: الحملُ كما ترى، قال: وكم عيالُك؟ قال: نحن عيالُ الله، لي والدةٌ عجوزٌ مُقعدة وأختٌ عمياء، قال: فإلى متى تَحمل من النهار؟ قال: إلى الظُّهر، وأُجِمُّ نفسي[2] باقيَ النهارِ إلى الليل، قال: أولستَ تكون جمَّاماً بالليل؟! قال: إنْ أَجممتُ نفسي [بالليل][3] تركني فقيراً يومَ القيامة، قال: فإنِّي رأيتك تأكل وحدك! قال: إنَّ أمِّي وأختي تصومان، فأَجعلُ عَشائي معهما إذا أَفطرتا، فقال: يا شاكر، ادفع إليه خمسةَ آلافِ درهمٍ ليُصلحَ بها حالَه، فقال: أنا في غِنًى عنها، فاجتهدَ به فلم يقبلْها، فقام عليٌّ وأخذ بيده وخلا به وقال: لي إليك حاجة، قال: وما حاجةُ مثلِك إلى مِثلي وأنت ابنُ الخليفة! فقال: بلى، قد ترى حالي وما أنا فيه من المُلك والنعيمِ وأمرِ الدنيا، فادعُ اللهَ تعالى أن يزهِّدَني في الدنيا ويرغِّبني في الآخرة، فقال الحمَّال: يا حبيبي، مالي عند اللهِ من القَدْر أن أدعوَه، فقال: لا بدّ، فرفع الحمَّالُ يديه وطأطأ رأسَه ودمعت عيناه وقال: اللهم أَخرِج حبَّ الدنيا من قلب عبدِك عليّ، وحبِّب إليه طاعتَك وجنِّبه معصيتَك.

ثم قام وخرج، وعاد عليٌّ إلى موضعه وقد ذهب نشاطُه، ثم قال لجلسائه: انصرفوا فاشهدوا طعامَ أميرِ المؤمنين، وجعل يصف طعامَ أبيه، ثم قال لمُنيبٍ خازنِ الكتب: أَخرِج إليَّ سيرةَ عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه، فأخْرَجها، فجعل يقرؤها ويبكي، ثم قال:

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) أي: أُريحها.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

اسمعوا ماكان طعامُ أمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ ﷺ، عُراقُ[1] لحمِ الإبل مطبوخٌ بماءٍ وملح، وأقراصٌ من شعيرٍ غيرِ منخول، فقيل له: لو أكلتَ غيرَ هذا الطعام، فقد وسَّع اللهُ عليك، فقال: إنَّ اللهَ عيَّر أقواماً بأكلهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠].

ثم قال: عليَّ بسيرة عمرَ بن عبدِ العزيز رحمةُ الله عليه، فجعل يقرؤها ويصف عيشَه ويبكي، ثم أخرجَ ساعداً مثلَ الفضَّة فقال: هذا الساعدُ يَبلى غداً في التُّراب كما يبلَى ساعدُ الحمَّال، ثم صرف النُّدماءَ والغلمانَ وبقي وحده مفكِّراً، فلما ذهب بعضُ الليل ناداني: يا شاكر، دونك والخزائنَ فاحفظها، فإني ذاهبٌ إلى سيِّدي، وأنا أظنُّ أنَّه يعني بسيِّده المأمون.

ثم خرج وعلى رأسه إِزار، وفي رِجله نعلان طاقان، وخلفه خادمٌ صغير، فلما ارتفع النهارُ عاد الخادمُ وحده، فقلت: أين الأمير؟ فقال: نزل في سفينةٍ مع ملّاح وقال: احملني إلى واسط فلي حاجةٌ مهمَّة، وأعطاه دنانير.

قال: ولمَّا علم به المأمونُ ضاقت عليه الدنيا، وكتب إلى جميع الآفاقِ والعمَّال أن يطلبَ وتوضعَ عليه العيون، فما وقف أحدٌ له على خَبَر.

قال: وأما عليّ، فإنَّه لما وصل إلى واسط، نزل البصرةَ وتنكَّر واشترى ثياباً وطبقاً كهيئة الحمَّال، وجعل يحمل على عُنقه بالأُجرة بمقدار قُوته، ويظلُّ النهارَ صائماً والليلَ قائماً، يمشي حافياً حتى تقطَّعت رِجلاه، يبيت في المساجد يتخلَّلها لئلَّا يُفطنَ به، فمرض، فاكترى غرفةً في بعض الخانات، وألقى نفسَه على بارِيَّة[2]، فلما أَيِسَ من نفسه، دعا صاحبَ الخانِ وناوله رقعةً مختومةً وخاتَماً وقال: إذا قضيتُ فادفع هذه الرُّقعة والخاتَمَ إلى والي البلد، ثم مات.

فجاء الرجلُ إلى دار الوالي وصاح: نصيحة، فأُدخل على الوالي فقال: ما نصيحتُك؟ فأراه الخاتَم، فعرفه، فقال: وأين صاحبُه؟ فقال: في الخان، في غرفةٍ

(١) العراق: العظم أكل لحمه. القاموس المحيط (عرق).

(٢) البارية: الحصير المنسوج. القاموس المحيط (بور).

ميِّت. فقام الوالي فجاءَ إلى الخان، فرآه على تلك الحال، فبكى بكاءً شديداً، وحوَّله إلى القصر، فغسَّله وطلاه بالكافور والمِسك والصَّبِر، ولفَّه في قَبَاطي مِصْر، وحمله في تابوتٍ إلى بغداد، وبعث بالخاتم والرُّقعة وعليها مكتوب: لا يفتحها إلَّا المأمون، وكتب إلى المأمون يُخبره بحاله ويقول: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي وجدته في بعض الخاناتِ في غرفةٍ على بارِيَّة، ليس تحته فراشٌ ولا عنده نائحةٌ ولا باكية، مُغمضَ العينين، طيِّبَ الرائحة، مستنيرَ الوجه.

فلمَّا وصل تابوتُه إلى بغداد، خرج إليه المأمونُ والحاشيةُ والأشرافُ والخَدَم، فلما رأى التابوتَ قام قائماً وكشف عن وجهه، وجعل يقبِّله ويبكي، وارتفعت الضَّجَّة، ثم فكَّ الرُّقعة، فإذا فيها بخطِّه: يا أميرَ المؤمنين، اقرأ سورةَ الفجرِ إلى أربعَ عشْرةَ آيةً منها واعتبرْ بها؛ فإنَّ اللهَ مع الذين اتَّقوا والذين هم مُحْسِنون.

وصلَّى عليه المأمونُ ومشى إلى قبره، فلمَّا وُضع فيه اطَّلع المأمونُ فيه فقال: رحمك اللهُ يا بُنَيّ، وأعطاك أُمنيتَك ورجاءك، إنِّي لأرجو أن يكونَ اللهُ قد أسعدك ونفعني بك، فنعمَ الولدُ كنت، جمع اللهُ بيني وبينك، ورزقني الصَّبرَ عليك، وأنالَكَ شفاعةَ ابنِ عمِّك سيِّدنا محمدٍ ﷺ. قال: والغبارُ قد علاه، والخدمُ حوله بالمناديل ينحُّون الغبارَ عنه، فقال: إليكم، تنحُّون الغبار عنِّي وعليٌّ يَبلَى في التراب! ثم دعا بمن قرأ سورةَ الفجرِ حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الآية: ١٤] وهو يبكي ويقول: رحمك اللهُ يا بُنَيّ، فلقد نصحتَ أباك.

وتصدَّقَ عنه بألف ألفِ درهم، وأَطلق المحبوسين، وكتب إلى العمَّال بردِّ المظالم وإنصافِ الرَّعية، وما زال منغَّصَ العيش، والعلماءُ ينتابونه ويعزُّونه، وهو لا يقبل عزاءً، ويُصبِّرونه وهو لا يستطيع الصَّبر، وهو منكسرُ النفس، حزينُ القلب، قليلُ النشاط. فلم يزل على حاله تلك حتى توفِّي رحمه اللهُ تعالى.

ذِكرُ وزراءِ المأمون وحُجَّابِه وقُضاته:

أوَّل ما وَزَرَ له بخُراسانَ الفضلُ بن سهل، ثم أخوه الحسنُ بن سهل، ثم أحمدُ بن أبي خالد، وعَمرو بن مَسعدة.

وقضى له الواقديّ، ويحيى بنُ أكثم، وإسماعيلُ بن حمَّادِ بن[١] أبي حنيفة، والحسنُ بن زيادٍ اللؤلؤي، ومحمدُ بن سَمَاعة.

وحَجَبه عبدُ الحميد بن شَبَث، ومحمدٌ وعليٌّ ابنا صالحٍ مولى[٢] المنصور، وغيرُهم.

أَسند المأمونُ الحديثَ عن أبيه هارون، ومالكِ بن أنس، وهُشَيم بنِ بشير، وحمَّاد ابنِ زيد، وأبي معاوية الضَّرير، وعبَّادِ بن العوَّام، وإسماعيلَ بن عُلَيَّة، وغيرِهم.

[وقال الحافظُ ابن عساكر[٣]:] وروى عنه أبو حذيفةَ إسحاقُ بن بِشْر، وهو أسنُّ منه، والقاضي يحيى بنُ أكثم، واليزيدي، وعَمرو بن مَسعدة، وعبدُ الله بن طاهر، ودِعْبِلٌ الشاعر، في آخَرين.

و[قال ابنُ أكثم:] كان [المأمونُ] يقول: إنَّما الحلاوةُ لأصحاب الخُلْقان [والمحابر] يقال لأحدهم: حدِّثني رحمك الله. انتهت ترجمةُ المأمونِ رحمه الله.

عبدُ الملك بنُ هشام بنِ أَيُّوب

أبو محمدٍ الذُّهْلي البصريُّ النَّحوي. سمع مغازيَ ابنِ إسحاقَ من[٤] زياد بنِ عبد اللهِ البكَّاء، وكان ثقة، وتوفِّي بمصرَ في ربيعٍ الأوَّل.

عبدُ الأعلى بنُ مُسْهِرٍ

ابن عبد الأعلى، أبو[٥] مُسْهرٍ الغسَّاني الدمشقي، ويُعرف بابن أبي دُرَامة.

كان سيِّداً عالماً فاضلاً زاهداً عابداً [وأثنى عليه الأئمّة، قال الحافظُ ابن عساكر: كان] شيخَ الشامِ في وقته[٦]، وفقيهَهم ومفتيهم وزاهدَهم، لم يكن في زمانه في الشام

(١) في (خ) و (ف): وابن. وهو خطأ.

(٢) في النسخ: ابن. والمثبت من نهاية الأرب، ترجمة المأمون.

(٣) في تاريخه ٣٩/ ٢٢٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و (ف): ابن، وهو خطأ، والمثبت من المصادر. انظر إنباه الرواة ٢/ ٢١١، والسير ١٠/ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٥-٢٣٦، وغير ذلك، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٥) في (ب): ابن. وهو صواب أيضاً، كما ورد في تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٠.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٠. وما بين حاصرتين من (ب).

مِثلُه، ومولدُه في صفرٍ سنةَ أربعين ومئة.

[ذكره ابنُ سعد][1] في الطبقة السابعةِ[2] من أهل دمشقَ [وقال: كان راويةً لسعيد ابنِ عبد العزيز التَّنوخي وغيرِه من الشاميين] وكان أُشخص من دمشقَ إلى عبد اللهِ بن هارونَ وهو بالرقَّة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلامُ الله، وأبى أن يقول: هو مخلوق، فدعا له بالسَّيف والنِّطع ليضربَ عُنقَه، فلما رأى ذلك أَجاب، فتركه وقال: أَمَا إنَّك لو قلتَ ذاك قبل السَّيف قبلتُ منك، ورددتُك إلى أهلكَ وبلادِك، ولكنك الآنَ تخرج فتقول: قلتُ ذلك فَرَقاً من القتل، فأشخِصوه إلى بغدادَ فاحبسوه بها حتى يموت، فحملوه إلى بغدادَ في شهر ربيعٍ الآخِر سنةَ ثمان عشرةَ ومئتين، فحُبس عند إسحاقَ بن إبراهيم، فلم يلبث في الحبس إلَّا يسيراً حتى مات فيه غُرَّةَ رجب [هذه السنة]، فأُخرج ليُدفنَ فشهده قومٌ كثيرٌ من أهل بغداد.

وقال أبو الحسينِ الرازي: لمَّا دخل على المأمون بالرَّقة قال له - والسيفُ مشهور - ما تقول في القرآن؟ قال: أَقول كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٦] فقال المأمون: هو مخلوق، فقال: عمَّن تنقل هذا؟ عن رسول اللهِ ﷺ أم عن الخلفاءِ الراشدين أم عن الصَّحابة والتابعين؟ قال: بالنَّظر، فقال: نحن مع الكتابِ والسُّنَّة والإجماعِ أو مع النظر؟ فقال: أنت عملتَ للسُّفياني، فقال: كلامُ الله قديمٌ غيرُ مخلوق.

فأَشخصه إلى بغدادَ وكتب إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ أن يمتحنَه على رؤوس الناس، فأَقامه كذلك وقال: إن لم تُجِب وإلَّا فقد أمرني أميرُ المؤمنين بقتلك، فقال: أيها الناس، أَلَا إنَّ أميرَ المؤمنين قال لي: قل: القرآنُ مخلوق، وإلا ضربتُ عنقَك، أَلَا فهو مخلوق. فعجب الناسُ من توريته، وازداد عندهم فضلاً.

قال الرازيّ: ومرض في حبسه، فتوفِّي لليلتَين مضتا من رجب [في هذه السَّنة][3] وهو ابنُ تسعٍ وسبعين سنة، وأُخرج فلم يبقَ ببغدادَ إلا مَن شهد جنازتَه، ودُفن بمقبرة

(١) في طبقاته ٩/ ٤٧٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): وهو من الطبقة السادسة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

بابِ التِّبْن [ومات المأمونُ بعده بعشرة أيَّام.

وقال ابنُ عساكر[١]: قرأ أبو مُسْهرٍ القرآنَ على أيوبَ بنِ تميم ويحيى بنِ الحارث، وقرأ يحيى على عبد اللهِ بن عامر. قال: و] أَسند عن مالك بنِ أنس [وسعيدِ بن عبد العزيز التَّنوخي، وعبدِ الله بن العلاءِ بن زَبْر، وإسماعيلَ بن عيَّاش، وسفيانَ بن عُيينة، وسلمةَ بن العيَّار]وخلق كثير.

وروى عنه [مروانُ بن محمد، ويحيى بنُ مَعين، و] أبو زُرعة الدِّمشقي [وأبو حاتِم الرازي، وأحمدُ بن أبي الحَوَاري، والأئمّة][٢].

واتَّفقوا على صدقه وأمانتِه وورعه، قال أبو داودَ رحمه الله: لقد كان من الإسلام بمكانٍ جميل، حُمل على السيف، فمدَّ رأسَه وأبى أن يُجيب، [وكان أحمدُ بن حنبلٍ يقول: رحم اللهُ أبا مسهرٍ ما كان أثبتَه! وكان أحمدُ يوادُّه ويكاتبه.

وحكى ابنُ عساكرٍ عن يزيدَ بنِ عبد الصمدِ قال:][٣] كنا عند أبي مُسهرٍ وهو يُملي علينا من كتاب، فمرَّ بحرفٍ قد اندرس، فلم يعرفْه، فنظر إليه يحيى بنُ مَعينٍ وقال: [يا أبا مسهر،] هو كذا وكذا، فقال: اضربوا على هذا الحديثِ فإني لا أَروي بتلقينٍ ولا آخذ به. قال ابن مَعين: فأردتُ أن أقومَ فأقبِّل رأسَه.

وقال يحيى: لا أحدِّث في بلدٍ فيه أبو مُسْهر. وقال ابنُ أبي حاتم: ما رأينا مَن كتبنا عنه أفصحَ منه، وما رأيتُ أهلَ كُورةٍ يعظِّمون عالَمهم مثلَ [أهل] كُورته، وإنَّه عندهم لَجليلُ القَدْر.

قال المصنِّف رحمه الله: ولم يحبسْه المأمونُ لأجل القرآنِ لا غير، وإنَّما كان قد أَنكر عليه أشياء، منها أنَّ أبا العَمَيْطَرِ عليَّ بنَ عبدِ الله بن خالِد بن يزيد بن معاوية [بنِ أبي سفيان][٤] لمَّا استولى على دمشقَ أَكره أبا مُسْهرٍ على القضاء، فلمَّا زالت أيامُ أبي العَميطَر

(١) في تاريخه ٣٩/ ٣٨٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): غيره.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٩. وما بين حاصرتين من (ب). ووقع في (خ) و (ف): وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

عزل أبو مُسهرٍ نفسَه، فلما دخل المأمونُ دمشقَ لم يلتفت إليه أبو مُسْهر، فحقد عليه.

ومنها ما حكاه[١] [الحافظُ ابن عساكرٍ في تاريخه][٢] عن عليِّ بن عثمانَ الحَرَّانيِّ قال: مرض أبو مُسهرٍ بدمشق، فدخلنا عليه نعوده، وكنا جماعةً من أهل الحديث، فقلنا: كيف تجدك؟ قال: راضياً عن الله ساخطاً عن الإسكندر[٣]، قيل له: ولم؟ فقال: حيث لم يجعلْ بيننا وبين العراقِ سدَّاً كما جعل بين أهل خُراسانَ ويأجوجَ ومأجوج.

[قال:][٤] فما كان بعد هذا بيسيرٍ حتى قدم المأمونُ دمشقَ ونزل بسفح جبلِ دَيْر مُرَّان، وبنى القُبيبةَ التي على الجبل، فكان في الليالي المظلمةِ يأمر [المأمون] بجمرٍ عظيم، فيوقد في الليل ويُجعل في طُسُوت كبارٍ وتُدلَّى بسلاسلَ من فوق الجبلِ عند القُبيبة، حتى تضيءَ الغوطةُ فيُبصرَها في الليل، وكان لأبي مُسهر حلقةٌ بجامع دمشقَ بين العشاءين عند الحائطِ الشَّرقي، فبينا هو جالسٌ في حلقته ليلة، إذ دخل ضوءٌ عظيم، فقال: ما هذا؟! فقالوا: النارُ تدلَّى لأمير المؤمنين من الجبل حتى تضيءَ له الغوطة، فقال أبو مُسهر: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ . . .﴾الآيات [الشعراء: ١٢٨-١٢٩] وكان في حلقته صاحبُ خبرٍ للمأمون، فرفع إليه ذلك، فلما صار [المأمونُ] إلى الرقَّة استقدمه وفَعَل به ما ذكرنا.

وكان على خاتَم أبي مُسهرٍ مكتوب: أَبرمتَ فقُم، فإذا جاءه ثقيلٌ يقول له: اقرأْ ما على هذا. وقيل: إنَّما كان ذلك على خاتم جدِّه[٥].

[وذكر ابنُ عساكرٍ شيئاً من شِعره فقال: حدَّثنا أبو القاسمِ الشحَّامي بإسناده إلى محمد بنِ يحيى قال: سمعتُ أبا مُسهرٍ يُنشد لنفسه:][٦]

---

(١) في (خ) و (ف) حكي.

(٢) ٣٩/ ٣٩٥-٣٩٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ دمشق: على ذي القرنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) وهو الذي ذكره ابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٣٧٩، وأَبْرَمَهُ فَبرِم وتبرَّم: أملَّه فملّ.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٩٩. وفي (خ) و (ف): ومن شعر أبي مسهر.

ولا خيرَ في الدُّنيا لمن لم يكن له ... من اللهِ في دار البقاءِ نصيبُ
فإنْ تُعجب الدنيا رجالاً فإنَّها ... متاعٌ قليلٌ والزَّوالُ قريب

وله: [من الطويل]

أَلَا قِفْ بدار المُترَفين فقل لها ... إذا جئتَها أين المساكنُ والقُرى
وأين الملوكُ الناعمون بغِبطةٍ ... ومَن عانقَ البيضَ الرَّعابيبَ كالدُّمى
فلو نطقتْ دارٌ لقالت لأَهلها ... لك العِلْم[1] صاروا في التُّراب وفي البِلى

عليٌّ الجَرْجَرائيُّ[2] الزاهد

كان ينزل بجبل لبنانَ يتعبَّد فيه [ورُوي عن عبد الواحدِ بن عليٍّ بإسناده إلى] بِشْرٍ الحافي قال[3]: لقيتُ عليًّا الجَرْجَرائيَّ بجبل لبنانَ على عين ماء، فلمَّا أَبصرني هرب وقال: بذنبٍ منِّي رأيت اليومَ إنسيّاً، فعدوتُ خلفه وقلت: أَوصني، فالتفت إليَّ وقال: عانقِ الفقر، وعاشِر الصَّبر، وعادِ الهوى، وعَفِ الشَّهوات، واجعل بيتَك أَخلى من لَحْدك، فعلى هذا طاب المسيرُ إلى الله عزَّ وجلّ. [والله أعلم بالصواب].

محمدُ بن مصعبٍ[4] بن صَدَقةَ القَرْقَساني

كان من أهل الخيرِ والصَّلاح، وإنما كان كثيرَ الغلط؛ لأنَّه كان يحدِّث من حفظه.

أَسند عن الأوزاعيِّ وغيرِه، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ اللهِ عليه وغيرُه.

وقال البخاري: كان ابنُ مَعينٍ سيِّئَ الرأيِ فيه[5]، جاء إليه فقال له: يا أبا الحسن،

---

(١) في تاريخ دمشق: لك الويل.

(٢) في النسخ: الجرجاني. والمثبت من المنتظم ١١/ ٣٨، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٤٧، وصفة الصفوة ٤/ ٣٤٦، والجرجرائي: نسبة إلى جَرْجرايا، وهي بلدة قريبة من الدجلة بين بغداد وواسط. الأنساب ٣/ ٢٣٣.

(٣) في (خ) و (ف): قال بشر الحافي. والحكاية رواها ابن الجوزي في المنتظم وصفة الصفوة.

(٤) في (خ): صدقة، وفي (ف): منصور، وكلاهما خطأ، والمثبت من المصادر. ولم ترد هذه الترجمة في (ب)، وهو الصواب، فإن المترجَم من وفيات سنة (٢٠٨هـ)، وقد وهم فيه صاحب الوافي بالوفيات حيث ترجمه في (محمد بن مصعب ٥/ ٣٢ وقال: توفي سنة ثمانٍ ومئتين) ثم تابع المصنف فترجمه في محمد بن منصور مرة أخرى ٥/ ٦٨ وقال: توفي سنة ثماني عشرة ومئتين. وانظر التاريخ الكبير ١/ ٢٣٩، و تاريخ بغداد ٤/ ٤٤٧، وتهذيب الكمال، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٧٠-٢٧١، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨٩.

(٥) التاريخ الكبير ١/ ٢٣٩.

أَخرِج إلينا كتاباً من كتبك، فقال: عليك بأَفلحَ الصَّيدلاني. لأنَّه كان احتقر ابنَ مَعين، فقام ابن مَعين مُغْضَباً وهو يقول: لا ارتفعتْ لك معي رايةٌ أبداً، فقال له ابنُ مصعب: إذا لم ترتفع إلَّا بكَ فلا رفعها اللهُ تعالى أبداً.

محمد بن نوح

ابن ميمون بن عبد الحميد[1] بن أبي الرِّجال العِجْلي. صاحب الإمام أحمد رحمة الله عليه، ويعرف والده بالمضروب.

كان محمد عالماً زاهداً ورعاً، مشهوراً بالسنة والدين والثقة، امتحن بالقول بخلق القرآن فثبت على السنة.

وقال الخطيب[2]: كتب المأمونُ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ ـ والمأمونُ بالرَّقَّة ـ أن يَحملَ إليه الإمامَ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه اللهُ وصاحبَه محمدَ بن نوح، وكان جارَه، فحُملا إلى الرقَّة على بعيرٍ متزاملَين، فمرض محمدُ بن نوحٍ في الطريق، وقال للإمام أحمد: أبا عبدِ الله، اللهَ الله؛ فإنَّك لستَ مثلي، أنت رجلٌ يُقتدى بك، وقد مدَّ هذا الخَلْقُ أعناقَهم إليك، ولِمَا يكون منك، فاتَّقِ اللهَ فاثبتْ لأمره.

قال الإمامُ رحمه الله: فمات بعانة، فدفنتُه بها، وإني لأرجو أن يكونَ اللهُ قد رحمه وختم له بالخير، فما رأيتُ أحداً على حَدَاثة سِنِّه وقِلَّة علمِه أقومَ بأمر اللهِ منه رحمه الله.

(١) في (خ) و (ف): عبد المجيد. والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٥١٧، والأنساب ١١/ ٣٥٦، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٢) في تاريخه ٤/ ٥١٨.